

# مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ الْقُرْآنِي

تأليف  
الدكتور عبدان الشرف



مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ الْقُرْآنِي

# مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ الْقُرْآنِي

  
تَأَلَّفَ  
الدُّكْتُورُ عَدْنَانُ الشَّرِيفُ

دار العلم للملايين

# دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مطار الياس، بناية متكو، الطابق الثاني

هاتف: ٢٠٦٦٦٦ - ٧٠٦٦٥٥ - ٧٠٦٦٥٦ - ٧٠٦٦٥٧

فاكس: ٧٠٦٦٥٧

ضرب ١٠٨٥ بيروت - لبنان

[www.malayin.com](http://www.malayin.com)

## كتابخاته

مركز تحقيقات كامبوري علوم اسلامي

شماره ثبت: ٠١٤١٤٥

تاريخ ثبت:



مركز تحقيقات كامبوري علوم اسلامي



## جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أم الإليكترونية أم الميكانيكية - بإفلات ذلك النسخ العفوي والاشياع على أن شرطه أو سواها أو حفظ المعلومات واسترجاعها - دون إذنت خطية من الناشر.

الطبعة الأولى ١٩٨٧

إعادة طبع ٤

شباط / فبراير ٢٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

---

### الأهداء

يا إلهي :

لقد كنتُ أرى ولا أبصر، وأعلم ولا أعقل بعضاً من آياتك التي لا  
تحصى في الكون وفي نفسي، فقدفت في قلبي نور الإيمان وأتيت لي سبل  
الهداية، وكشفت عن بصري وبصيرتي غشاوة الجهل والضلal .

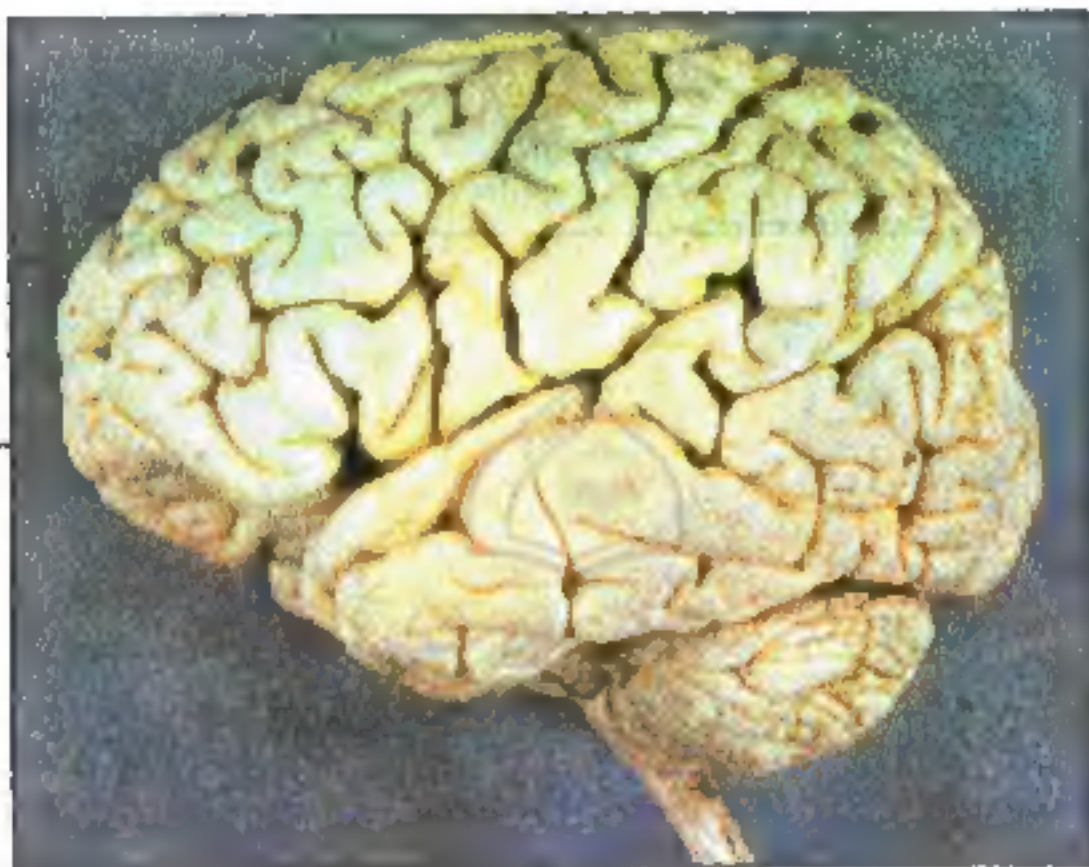
يا رب :

لقد كنت ضالاً فأرسلت من يهديني، وتعيساً بالبعد عنك، فأسعدني  
التقرب منك، هل لعبدك التائب أن تقبل منه هذه المحاولة المتواضعة للمشكر  
والحمد وأنت أرحم الراحمين، وخير الغافرين؟ وسبحانك على حلمك بعد  
علمك . . . . .

عبدك التائب

عدنان الشريف

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ  
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾



الإسلام إذا فهم ودرس وطبق بصورة منهجية علمية في البيت والمدرسة والمجتمع، كان وحده القادر، كنظام سماوي متكامل لا ثغرات فيه، على أن يُخلّص الإنسان من كل عقده النفسية، بل قد يتسامى بها، فيحول عقْد الموت إلى فضيلة الجهاد، وطلب الشهادة، وعقْد الحرمان والنقص والتعالي إلى فضائل المحبة الصادقة والشفقة بالنفس والتواضع والصبر، وعقْد الجبرص والشح إلى فضيلة الإحسان والإيثار، وعقْد الجنس إلى فضيلة العفة والترفع عن كل شهوة جنسية آثمة.

الدكتور عدنان الشريف

## توطئة

هدفنا من نشر هذا الكتيب أولاً وقبل كل شيء، الالتزام بأوامر الباري عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩). ومن سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار. (رواه مسلم والترمذي).

مركز البحوث الإسلامية

ثانياً: بالرغم من وفرة الكتب والمنشورات التي جهدت في تفسير الكثير من آيات القرآن الكريم وتاويلها، والتي تطرقت لمختلف فروع العلوم الطبية والنفسية والفلكية والفيزيائية والتاريخية والجغرافية، وعلوم الحيوان والنبات، فإن هذه المحاولات، وهي في أكثرها مشكورة، ظلت متفرقة، فأردنا في هذه المحاولة المتواضعة، أن نجعلها قدر الإمكان في سلسلة كتب سنشرها تباعاً وعلناً نضع أمام القاري، بعضاً من المعجزات والحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرناً والتي لم يكشفها العلم إلا منذ بضعة قرون أو بضع سنين فقط، عل هذه الإعجازات العلمية القرآنية المجهولة، وقد أصبحت اليوم حقائق كشفها العلم، تساعد المؤمنين من القراء وغيرهم، كما ساعدتنا، على الانتقال من إيمان الفطرة بالله إلى

الإيمان العلمي به . وهو برأينا الإيمان الثابت والسبيل الوحيد للوصول إلى فهم معنى الحياة من كل جوانبها ، وبالتالي الوصول إلى السعادة الحقيقية هدف وغاية كل مخلوق حي .

فالسعادة هي في معرفة الحقيقة ، ولا يكون ذلك إلا من خلال معرفة الإنسان لذاته : ماهيتها ، رغباتها ، ومصيرها ، ولا سبيل لمعرفة الذات معرفة صحيحة إلا من خلال هدي القرآن الكريم والحديث والسيرة النبوية الشريفة . وما يعتقد أكثر الناس من أن السعادة تأتي من المأكول والمشرب والتمتع بمتاع الدنيا من شهوات جنسية وبنيين ومال وجاه ، إنَّ هي في الحقيقة إلا لذات آنية ، مصحوبة غالباً بالألم ، تعطي القليل القليل مما نسميه بالسعادة المزيفة . فالسعادة الحقيقية هي إحساس داخلي شبه دائم بالرضا والطمأنينة ، لا يمنحها إلا الباري لمن اتبع هداه فقط ، إنها إحساس شخصي ذاتي داخلي بالسكينة ، لا يعرفه إلا من ذاقه أو كما يقول بعض العارفين بنعمة الإيمان : من ذاق عرف ، ولو ذاق الملوك نعمة السعادة الحقيقية التي يمنحها الإيمان بالله لقائلونا عليها .

### القواعد القرآنية التي نلتزمها في تفسير الآيات الكريمة

يَسِّرُ الْمَوْلَى حَزَّ وَعَلَا فُهِمَ مَعَانِي آيَاتِهِ الْكَرِيمَةِ وَحُضُّ عَلَى تَدَبُّرِهَا ، وَبَيِّنَ الَّذِينَ بِاسْتِطَاعَتِهِمُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ ، وَالشُّرُوطَ الْوَاجِبَ تَوْفُّرِهَا عِنْدَ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَحَمَّلَ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةَ ، الْجَلِيلَةَ وَالْخَطِيرَةَ ، بِتَفْصِيلٍ قُرْآنِيَّةٍ ، هِيَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي اعْتَمَدْنَاهَا فِي مُحَاوَلَةِ تَفْسِيرِنَا لِلآيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْكَرِيمَةِ ، لِذَلِكَ نَرَى لِرِزَامِ عَلَيْنَا شَرْحَهَا وَتَبْسِيطَهَا ، وَهِيَ مَا نَدْعُوهُ بِالْقَوَاعِدِ الْقُرْآنِيَّةِ لِلتَّفْسِيرِ .

القاعدة الأولى الأساسية : المولى يعلم قرآنه للعالم التقى : ﴿الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . . .﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ . وللتقوى شروط قرآنية فصلها الكتاب الكريم من خلال آيات التقوى الكثيرة نختصرها



بالآية الكريمة التالية الجامعة : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ  
وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ  
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا  
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

وكل باحث في آيات الله يجب أن يجمع إلى جانب تقوى الله : العلم ،  
ونعني بذلك : العلوم القرآنية ، إلى جانب حقل من العلوم الوضعية ، كي لا  
يقع في ما حذرت منه الآية التالية : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ ، وَلَا هُدًى ، وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ . فالعولى عزّ وعلا لا يقبل شهادة على  
وحدانيته وقسطه إلا من نفسه أولاً والملائكة ثانياً وأولي العلم ثالثاً ﴿شَهِدَ اللَّهُ  
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران : ١٨) .

القاعدة القرآنية الثانية : قاعدة المثنائي : كتاب العولى الكريم يُفسر  
بعضه بعضاً ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ (القرآن  
الكريم) كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشِيرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ ثَلَاثِينَ  
جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ ، يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ  
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر : ٢٣) .

فلكل آية من آيات الله ، آية أو آيات أخرى هي «مثنائها» تفسرها  
وتكمل معانيها بعضها بعضاً ، من الواجب التفشيش عنها ووضعها جنباً إلى جنب  
إذا كنا نريد أن نفهم شيئاً من معاني الآيات والكلمات في القرآن الكريم .  
ذلك أن للكلمة في كتاب الله معاني عدة ، يجب التفشيش عنها من خلال آيات  
المثنائي ، فالقرآن الكريم هو أولاً وأخيراً الذي يعطي المفردات معانيها  
المختلفة وليست معاجم اللغة فقط ، وهو الذي يغني اللغة العربية بمعاني

المفردات، وسياق الجملة في الآيات من المثاني هو الذي يعطي للكلمات معانيها وليس العكس، فمن الأمثلة على ذلك معنى كلمة «مكر» فهي تعني عمل عملاً سيئاً في موضع، و«عاقب» في معنى آخر، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. ويشرح هذه الآية الكريمة قوله تعالى في آية أخرى وهي من مثاني الأولى: ﴿أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ. أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ٤٥ - ٤٧).

هذا لو وضع علماء اللغة عندنا، من المتقين، الذين يريدون تفسير معاني المفردات في كتاب الله الكريم معجماً جامعاً لمعاني هذه المفردات استناداً إلى قاعدة المثاني القرآنية.

القاعدة القرآنية الثالثة: الثابت من الحديث الشريف هو المعتمد في تفسير البعض من آيات الله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤). ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤).

فالرسول الكريم لم يفسر لنا إلا آيات العقيدة والأحكام وبعضاً من الآيات العلمية في حقل العلوم المادية ربما، والله أعلم، التزاماً منه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾. (ص: ٨٧ - ٨٨).

ومن الأحاديث الشريفة، نحن لا نعتمد إلا المذكور في الكتب الصحاح للأحاديث التي اتفق عليها علماء الأحاديث، شرط أن لا يتعارض أي حديث مهما كانت صحته مع كتاب الله الكريم استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ

مِنْ أَخِي عَنَّةَ حَاجِزِينَ ﴿ (الحاققة: ٤٤ - ٤٧) واستناداً أيضاً إلى الحديث الشريف التالي: «إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فعني، وما خالفه فليس عني». (رواه ابن عباس - مسند الإمام الربيع) علماً أن بعضهم قد شك في صحة هذا الحديث وقال عنه إنه موضوع مكذوب.

القاعدة الأخيرة: عدم الربط بين أية علمية أو حديث شريف تطرق إلى حقل من حقول العلوم المادية إلا مع ما أثبتته العلم بالبرهان والصورة وأصبح قاعدة لا جدال فيها.





سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

## من إيمان الفطرة إلى يقين البرهان

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا » .



(النساء : ١٧٤)

مركز تحقيقات علوم اسلامی

« إن الإيمان ليخلق (بضعف ويلى) في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلوا الله أن يحدد الإيمان في قلوبكم » .

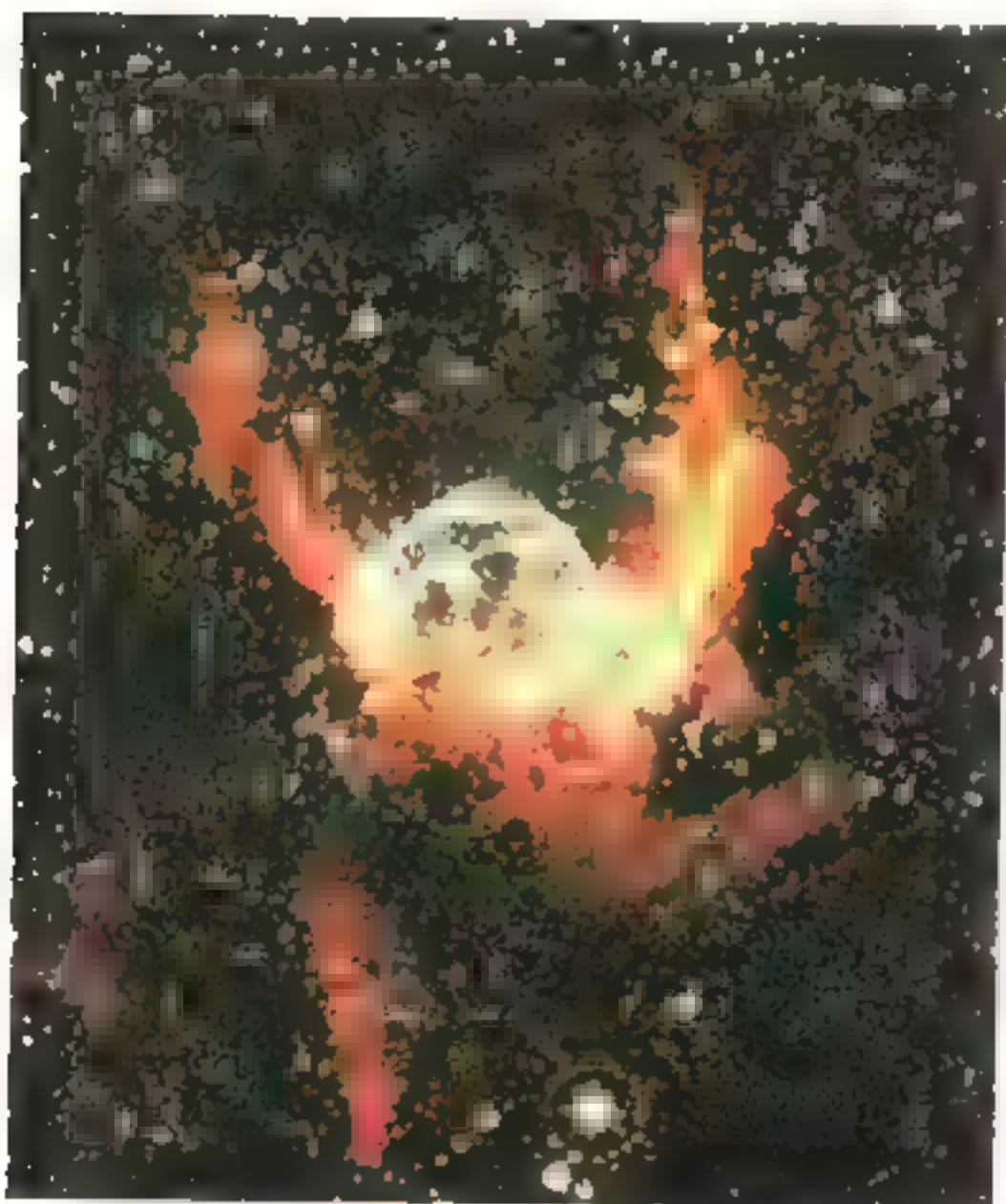
(حديث شريف - رواه الطبراني)

« إن الإيمان هو أقوى وأنبل نتائج البحوث العلمية ، إن الإيمان بلا علم ليمشي بشية الأهرج ، وإن العلم بلا إيمان ليظمس تلمس الأعمى » .

(أينشتاين)

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَيَقُولُونَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ  
النَّارِ﴾



صورة رائعة لاحدى المجرات Galaxy من بين مليارات المجرات الكونية :  
تتألف من مليارات النجوم، وبعضها يصل حجمه آلاف المرات حجم الشمس  
وتبعد عنا ملايين السنين الضوئية (السنة الضوئية تساوي ٩٤١٦ مليار كلم أي  
عشرة آلاف سنة تقريباً)

## ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ أول آية مباركة في التنزيل ، هي أمر من المولى عز وعلا لكل إنسان عاقل بأن يتعلم ، والاستزادة من العلم أمر إلهي آخر ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، والذي يُلْغِي الدعوة عليه أزكى الصلوات ، وصف نفسه قائلاً : « إِنَّمَا بَعَثْتُ مُعَلِّمًا » ولذلك لا يتغل العبد المكلف من خانة المسلم باللهوية ، وهي مع الأسف حالة أكثر المسلمين اليوم ، إلى خانة المسلم المؤمن حقاً ، وهي حالة القلة ، إلا إذا انتقل بإيمانه نقلة نوعية ، من إيمان القطرة إلى إيمان البرهان أي الحجة والدليل ، ولا يكون ذلك إلا بواسطة العلم ، فالإيمان الصحيح ، هو عملية منطقية ، فكرية ، علمية ، قبل أن يصبح مسألة وجدانية شعورية ، ولا يخضع قلب الإنسان وتلتزم جوارحه بالطاعة لتعاليم السماء ، إلا إذا تكونت لديه الحجة والبرهان ، أي الدليل العقلي المنطقي والعلمي الذي من خلاله لا مناص لكل خلية من خلايا دماغه المفكر بالتملص منه ، وعندئذ فقط يخضع قلبه وتلتزم جوارحه ، وتصبح لديه المناعة ضد كل أصوات التشكيك المنبثة من النفوس المريضة ، الأماراة بالسوء ، الظانة بالله ﴿ ظَنُّ السُّوءِ ﴾ وما أكثرها وأعتاها في داخلنا ومن حولنا !

ومن يتقصى أسباب نشأة المدارس الفكرية والأنظمة الوضعية

الاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عنها، والتي تحارب الدين أو تفصله عن  
تسيير شؤون الإنسان، يجد أنها كانت نتيجة مباشرة لفقدان البرهان المنطقي  
العلمي في بعض الرسائل السماوية، نتيجة تحريفها على يد الإنسان، أو  
كنتيجة أيضاً لإساءة فهم ونشر وتطبيق النصوص السماوية التي لم تحرف،  
من قبل القائمين على تبليغ الدعوة ونشرها.

ولو تفحصنا أيضاً أسباب الصحوة الإيمانية الجديدة اليوم، واعتناق  
خشرات الألوف من الغربيين الإسلام، والتثبت المستميت من الأقلية  
المسلمة بعقيدتها في بعض البلدان، بالرغم من تألب قوى التبشير والإلحاد  
ضدها، لوجدنا أن من الأسباب الرئيسية لذلك، هو أن الإسلام يقدم للإنسان  
العاقل المفكر، البرهان الذي لا يتعارض مع معطيات المنطق والعلم  
الصحيح، بل يعززها ويرسخ في نفسه بذور إيمان الفطرة التي وضعها فيه  
خالقه. وكل دعوة دينية، لا تلتزم بحرين العقل والمنطق والعلم، لا تتج في  
رأينا إلا إيماناً تقليدياً، سريع العطب، ولو كانت النصوص السماوية  
صادقة لم تطلها يد التحريف، بل هي التي لا بد من إمام قوي الباطل المنظم والذي  
يغلب الحق غير المنظم، إلا دعوة دينية قائمة على منهجية علمية منظمة  
ومستندة إلى الحجة والبرهان والدليل، وكلها موجودة في النصوص السماوية  
التي لا تكون كذلك إلا إذا لم تتعارض مع كل منطق سليم وعلم ثابت  
صحيح.

### ١ - إيمان الفطرة

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ  
لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . (الروم: ٣٠)

الإنسان بطبيعته مفعور على الإيمان، بما أودعه فيه المولى من عقل



مفكر، يهديه إلى البرهان الذي يتلاءم مع مستوى علمه ومنطقه على أن له رباً وجبت طاعته وعبادته من بين ملايين الأدلة والبراهين في هذا الكون، وما حواه من مخلوقات من أصغر جسيم في الذرة إلى أكبر مجرة، مروراً بعالم النبات والحيوان، وكلها تشهد بوحداية الخالق وعظمته. هذا ما نفهمه من معاني الآية الكريمة أعلاه والآيات التالية:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزحرف: ٩).

إن كل إنسان ملحد، لا يستطيع في الحقيقة أن يسكت في ذاته صوت الإيمان الفطري، فعندما يخلو بنفسه أو من خلال زلات لسانه، يعترف ضمناً بأن له خالقاً فطر السماوات والأرض، إلا أن المكابرة وحجب المجادلة وخوف الالتزام بتعاليم الدين التي تتعارض مع أصوات الطغوت والنفس الأمارة بالسوء تجعله يتجاهل ويسكت صوت إيمان الفطرة فيه، فرحمة من المولى، وإقامة للحجة عليه أنزلت الكتب والرسالات السماوية التي تساعد الإنسان على الانتقال به من إيمان الفطرة إلى إيمان البرهان، هذا إذا أراد، فهو المخير مع الجن دون سائر المخلوقات.

وليس الإنسان فقط، مفطوراً على الإيمان بخالقه بل الجماد والنبات والحيوان كذلك. ولقد بدأ العلم منذ سنوات، وبالوسائل السمعية والبصرية، يكتشف شيئاً من لغات الحيوان وطرق مخاطبه، كما تبين أن للنبات شعوراً وإحساساً وربما لغة خاصة به كالحيوان. وسيكشف العلم ذلك لاحقاً أيضاً في كل شيء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ

وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ خَلِيبًا عَفُورًا ﴿٤٤﴾ (الإسراء : ٤٤).

## ٢ - إيمان البرهان

### ١ - تعريف موجز بالإيمان اليقيني

حدّد المولى في كتابه الكريم تعريف المؤمن الحق الصادق بآيات لا تتطلب الشرح، يكفي التذكير ببعضها :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. ﴾ (الأنفال : ٢ - ٤).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. ﴾ (الحجرات : ١٥).

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. ﴾ (السجدة : ١٥، ١٦).

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ. ﴾ (المجادلة : ٢٢).

فالإيمان الصادق، هو فعل خيار لعقل ومنطق سليم، وإرادة قوية تجاهد أهواء النفس الأمارة بالسوء، وهو فهم بالعمق، ومن ثم التزام بما

جاءت به الكتب السماوية الحقّة، أي التي لا تتعارض تعاليمها مع المنطق السليم والعلم الثابت الصحيح، وهي تعاليم الإسلام.

والإيمان هو بنظرنا ضرورة حيائية، كالطعام والشراب، إذ لا سعادة للأفراد والمجتمعات بدونه، وما التعاسة والفقر والخوف والقلق والضيق، وكلها قلف الإنسانية من أدناها إلى أقصاها، خاصة في يومنا الحاضر، إلا نتيجة مباشرة لبعث أكثر الأفراد والشعوب عن سلوك طريق الإيمان الصادق.

## ٢ - سبل المعرفة الإيمانية

للوصول إلى المعرفة الإيمانية البقينة سبلان :

أ - سبل خاص هو سبل المعرفة «الدنية» وهي ما يعلمه الإنسان مباشرة من ربه بالوحي أو بالإلهام والحدس، وبعد رياضة النفس ومجاهدتها بالتقوى، وهو سبل الأنبياء والرسل والعلماء القلة، كبعض الأولياء ممن اختصهم المولى وهبهم لسلوك هذا السبل من المعرفة الإيمانية المباشرة التي تسمى بالمعرفة «الدنية» :

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . (الشورى : ٥١).

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ . (الكهف : ٦٥).

وهذا السبل الخاص بالمعرفة الإيمانية والذي سلكه المتصوفون ومنهم الصادق، وهم القلة، والكثرة الغالبة هم في الحقيقة مرضى الهلوسة العقلية أو الشعوذة، لا تنصح بسلوكه للعامة فلقد لاحظنا من خلال ممارستنا المهنية العلاجية للأمراض العقلية، أن كثيراً من الذين يريدون الوصول إلى شيء من البقين الإيماني وخاصة بالغيبيات، يحاولون سلوك هذا الطريق الخاص بالمعرفة الإيمانية وبدلاً من الوصول إلى الإيمان، يصلون إلى أقرب

عيادة أو مستشفى للأمراض العقلية وهم في حالة يرثى لها من الهذيان الديني والهلوسة من ادعاء الإبحاء إليهم من الله أو رؤية الملائكة والجان وغير ذلك .

ب - سبل عام هو سبل العلم والمعرفة عن طريق الحواس والعقل والمنطق وهو طريق البرهان والدليل الذي أمرنا المولى بسلوكه لكي نؤمن به ونلتزم بتعاليمه من خلال مثات الآيات الكريمة التي حضت المكلف على أن يجد لنفسه البرهان الإيماني من خلال كتابه المصور: القرآن الكريم . وكتابه المنظور: الكون وما حواه، شرط أن يقرأ ويتعلم ويتفكر، فالقرآن الكريم لا يتوجه بالنداء الإيماني إلا لقوم يعلمون ويفقهون ويعقلون ويفكرون: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت: ٣) .  
﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣) .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) .


### ٣- أنواع البرهان

﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الحجرات: ٢٠) .

ولو كان إيمان الفطرة يكفي الإنسان، لما أنزلت الكتب السماوية وأرسلت الرسل والأنبياء . إذ لا بد من دليل إيماني لا يرقى إليه الشك فعبارة « اركع على ركبتيك وأغمض عينيك وآمن بقلبك » كما قال « باسكال » لا تكفي عند الإنسان، وهو الأكثر جدلاً بتعريف خالفه ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلًا ﴿١٠٩﴾ ، لذلك أيد المولى أنبياء ورسله ، إضافة إلى المعجزات بعلم لدني هو بالنسبة لهم ، قبل غيرهم ، البرهان والدليل الذي يشتهم في إيمانهم الفطري ويساعدهم على تبليغ وتحمل أعباء الرسالة ، فبدنا يوسف كادت نفسه الأمانة بالسوء أن تدفعه للاستجابة لنداء الإثم المتكرر من امرأة العزيز ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي﴾ المتمثل في خلق السماوات والأرض : ﴿رَبُّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف : ١٠٩) .

وسيدنا إبراهيم أعطاه الله برهانه اليقيني ، فأراه بالبصيرة ملكوت السماوات والأرض : ﴿وَكَذَلِكَ يُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام : ٧٥) .

ولولا هذا البرهان اليقيني الذي  هذا المولى لإبراهيم لكان من القوم الضالين : ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام : ٧٧) .

والرسول الأعظم ، عليه السلام ، ثبت فزاده بما علمه من علم الكتاب والحكمة وما لم يكن يعلم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ . (النساء : ١١٣) .

ولقد اختتمت الرسالات السماوية ، بالبرهان اليقيني والمعجزة الوحيدة الباقية إلى يوم الدين ، القرآن الكريم الذي لا يستطيع أن يشكك به أي عاقل : ومنه يستفي كل إنسان برهانه الإيماني على وجود الله وصدق التنزيل . ومن الضروري أن يكون لكل مسلم برهانه الإيماني الذي ينقله من إيمان الفطرة

إلى إيمان الدليل . فكل إنسان مهما بلغ إيمانه بالله عز وجل ، يمر بلحظات قد يتزعزع فيها إيمانه فيشك بالمعجزات التي أتى بها الرسل ، وخاصة اليوم ، ولكي يبقى بعيداً عن عوامل الشك هذه ، لا بد له من دليل ثابت يراه ماثلاً أمام عقله ومنطقه في كل ثانية على وجود الله ، وهذا الدليل يجده كل من أراد وحسب درجته العقلية والعلمية في كتاب الله المقروء القرآن الكريم وكتاب الله المخلوق الكون وما حواه .

أما أن نترك الإيمان للشعور والوجدان فقط فهذا لا يكفي وخاصة في القرن العشرين ، عصر العلم والبرهان .

ولو تساءل كل مسلم بينه وبين نفسه ، وهذا بنظرنا هو بداية طريق الإيمان الصحيح ، ما هو برهانه الإيماني الذي لا يستطيع من خلاله إلا أن يقر بوجود الخالق وصدق التنزيل ، لوصل برأينا إلى درجة الإيمان الصادق والذي سبق تعريفه . ولقد سئل أحد كبار المؤمنين عن برهانه الإيماني ، فأجاب بكل بساطة : حياة النملة بطريقة عيشها . ولا عجب في جوابه فلقد سميت سورة من كتاب الله باسم النمل ، أما أينشتاين ؟ فلقد كان دليله الإيماني هذا النظام البديع الموجود في كل خلق من مخلوقات الله ، فانه كما يقول « أينشتاين » لا يلعب النرد مع الكون<sup>(١)</sup> .

ولو اطلع أينشتاين على الآية الكريمة التالية من كتاب الله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لُحُوفًا لَفَعَلْنَا ذَلِكَ . إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ (أي النظام المحكم الضروري) عَلَى الْبَاطِلِ (أي الفوضى والصدقة والجهل) نَيْدَمَةً فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٦ - ١٨) ، ربما كان من كبار المسلمين الموقنين بالقرآن الكريم ورسالة الرسول العظيم إلى جانب إيمانه العميق بالله . وكذلك هي الحال بالنسبة لبقية العلماء من المؤمنين الذين رأوا أن كل

(١) (Dieu ne jette pas aux dés avec le monde. EINSTEIN: Sa vie et son époque - Edition Stock, (١) Ronald - Clark, p. 37)

مخلوق درسوه بالعمق هو مَوْقِعُ بيد الخالق الباريء المصنوع ناطق بقوله تعالى : ﴿صَنَعَ اللّٰهُ الَّذِي أَتَقَرُّ كُلُّ شَيْءٍ﴾ .

ولقد بدأت أولى مسيرتي الإيمانية البقية بفضل المولى ، بمقال علمي قرأته عن توسع الكون الدائم ، أتبعته قبل أن أستسلم للنوم ، بشيء من قراءة الذكر الحكيم وكانت من الطغولة قراءة تقليدية للتبرك والاستعاذة كما علمني الأهل ، استوقفتني خلالها الآية الكريمة التالية : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ . (الذاريات : ٤٧) هذه الآية الكريمة أحدثت في كل خلية من خلايا دماغي المفكرة ، رجة إيمانية ، فكونت عندي أول الأدلة البرهانية العلمية والعقلية والمنطقية ، على وجود الله ، وأن القرآن الكريم هو كلامه فالآية الكريمة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ هي بالنسبة لمنطقي وعقلي ، وكذلك يجب أن تكون بالنسبة لكل من عرف شيئاً من علم الفلك ، السد المنيع والبرهان الدائم ضد كل شك أو شكك بالله وكتابه ومن أي جهة أتى ، ما دام العلم قد أثبت منذ النصف الأخير من القرن العشرين أن الكون في توسع دائم وقد سبقه القرآن الكريم إلى ذلك منذ خمسة عشر قرناً ولا تكون هذه الآية عند كل ذي منطق وعقل سليمين إلا دليلاً يقينياً على وجود الله ، وعلى أن القرآن الكريم هو كلامه ، ومن أولى بديهيات المنطق السليم الالتزام الكلي بكل ما أمر به المولى في كتابه ونهى عنه ، واليقين بكل ما أنبأ به من أنباء ، وقص فيه من قصص ، وضرب فيه من أمثال . ومنذ ذلك الوقت آليت على نفسي أن أدرس كتاب الله الكريم وأحاول فهمه والعمل بمضامينه كما درست كتب الطب وعملت بمضامينها وأنا منذ ذلك الوقت من السعداء .

لقد أتبعته حتى الأربعين من عمري سبيل الإيمان التي أدهوها بالتقليدية ، وهو ما تعلمته واكتسبته في بيتي ومدرستي ومجتمعي ، ولقد وجدت بحكم خبرتي الشخصية والمهنية أن الإيمان التقليدي ، وهو ما يتبعه أكثر الناس ، عرضة للتصدع والتراجع وخاصة عند المتعلمين الذين لم يطلعوا على الجوانب العلمية الصرفة في الدين الإسلامي ، وأمام أي موجة إلحادية سواء

كانت ظاهرة، أو مستترة وراء أقنعة التقدم والرفي الحضاري الغربي ومجاراة العصر.

ولا يقوى على قوى الباطل المنظمة والمخطط لها سلفاً من أعداء الدين والإسلام، ومنذ قرون، إلا إيمان قائم على أسس علمية منهجية منطقية منظمة، يجدها كل من أراد الوصول إلى الإيمان العلمي من خلال العلم ودراسة القرآن الكريم والأحاديث والسنة الشريفة، دراسة منهجية مستندة إلى قواعد العلم والمنطق، وهذا الإيمان العلمي هو ما تجب الدعوة إليه، وهو ما عنت في ما تعنيه الآية الكريمة التالية: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. فالحكمة هي الجمع بين العلم الصحيح المفيد والعمل بمضامينه، والموعظة الحسنة هي الدعوة المنظمة على أسس منهجية منطقية سليمة، وهكذا دعوة إيمانية برهانية يجب أن تتوافر لها أربعة شروط:

١ - عقل ومنطق سليم.

٢ - إرادة صادقة ومجاهدة دائمة للنفس الامارة بالسوء.

٣ - مسلكية علمية تتبع دراسة منهجية علمية للقرآن والسنة والحديث

الشريف.

٤ - مؤسسات رسمية مسؤولة وقادرة مالياً، تؤمن نشر وتعليم الدين بوسائل العلم الحديث كما تؤمن تعليم اللغة العربية ونشرها في كل البلاد الإسلامية إذ من الصعب على المسلم أن يعقل إسلامه إذا لم يكن يحسن العربية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩).

نحن اليوم بحاجة إلى جانب الدعاة عندنا من علماء الفقه والتفسير والأحكام في الشريعة، وكلهم ممن نجعل ونحترم، لعلماء متخصصين في مختلف العلوم المادية، من المؤمنين، ليشرحوا لنا كل في حقل اختصاصه ما



يقرب من الألف آية كريمة من كتاب الله ، سبقت العلوم المادية بقرون ، ولا يستطيع شرحها ، إلا كل متخصص في علم معين لذلك .

### ٣ - نحن بحاجة

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم الأجنة والوراثة ووظيفة الأعضاء لشرحوا لنا معنى الآية الكريمة ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ . وكذلك عشرات الآيات الكريمة في علم الأجنة والوراثة .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم التغذية والطب الوقائي لشرحوا لنا لماذا حرم الله الخمر والدم ولحم الخنزير واللسواط والملاقات الجنسية الأثمة . وما حرم الله شيئاً أو أحله إلا وأتى العلم الصحيح ولو متأخراً بقرون ، مطاطي ، الرأس قائلاً آمين : ﴿ . . . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران : ٧) .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم الفلك لشرحوا لنا ما معنى «مواقع النجوم» وليبينوا عظمة القسم ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (الواقعة : ٧٥) ، ولماذا ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٦) وأكثرنا لا يعلم شيئاً في علم الفلك ، وكذلك المعنى الإعجازي العلمي في ما يقرب من مئة آية كريمة تطرقت إلى علم الفلك .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم طبقات الأرض والمحيطات لفهم بالعمق الأبعاد العلمية الإعجازية في قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصُّدْعِ ﴾ . ﴿ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاها ﴾ ﴿ وَالتَّبْحِرِ الْمَشْجُورِ ﴾ ﴿ قُلْ مَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ . وغيرها من عشرات الآيات على بعض المسلمين يجد في ذلك دليلاً إيماني .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم الفيزياء والأحوال الجوية لفهم

عظيمة ومعجزة وإعجاز القرآن في الآيتين الكريمتين : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) ﴿ وَغَيْرَهُمَا مِنْ عَشْرَاتِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين ، في دراسة السلالات البشرية لنفهم عمق وبعد المرمى في الآيات الكريمة : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين ، في التاريخ ، لنبينوا بالأرقام والتواريخ صدق النص القرآني ومصدره الإلهي من خلال التحدي الغيبي بأن الروم سيفلبون الفرس بعد بضع سنين من خسارتهم في معاركهم مع الفرس ﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَيْنِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَعْضِ سِنِينَ ﴾ (الروم : ٢) ، وغيرها من التحديات التاريخية كقطعة أهل الكهف وسفينة نوح وغيرها .

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين ، في علم التاريخ وفي علم الآثار وعلم المومياة المصرية بالذات ، لنبينوا لنا كيف أن (فرعون الخروج) الذي لحق بموسى سلام الله عليه ، وأغرقه المولى ، كيف أنجاه الله ، ﴿ بِيَدِهِ ﴾ وحفظه حتى يومنا هذا في المتحف الوطني في القاهرة ، ليكون آية لمن يجي . بعده . وقد غفل أكثر المفسرين عن هذه الحقيقة حتى قبض الله للإسلام في القرن العشرين رجلاً مؤمناً هو الدكتور «موريس بوكاي» ، هو طبيب جراح فرنسي ، تساءل عقلانياً وفنش منطقياً وحقق علمياً في صدق الآية الكريمة : ﴿ فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدَنَّا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (يونس : ٩٢) ، ووجدوها صحيحة مئة بالمئة ، حتى أبدان الفراعنة الذين اختلفوا فيهم تاريخياً من أن أحدهم هو الفرعون الذي لحق بموسى لا زالت

محفوظة حتى اليوم في قاعة المومياة في متحف مصر؟ (1).

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين في علم الحيوان، ليشرحوا لنا علمياً طريقة عيش وتغاطب كل دابة وطائر وكيف أنهم كما أثبت علم دراسة الحيوان: **أَمْثَالُنَا ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحٍ إِلَّا أَمْثَلُكُمْ ﴾** (الأنعام: ٣٨) تغاهم وتتغاطب بينها وتُسَبِّح خالقها ولكن لا نفقه تسييحهم.

نحن بحاجة لعلماء مؤمنين، في علم القانون الدولي، والمدني والجزائي والأحوال الشخصية ليتخلصوا من التشريع الإلهي القرآني ومن الحديث الشريف والسيرة، عظمة الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام منذ خمسة عشر قرناً، ويقارنوها بما استطاع أنصار العلمانية أن يأتوا به حتى هذه الساعة بالذات، بل إن أكثر المشرعين اليوم يرجعون إلى التشريع الإسلامي القرآني وهدي السنة والسيرة.

نريد أن تتضافر جهود المؤمنين من علماء الاجتماع، والنفس والإحصاء ليبينوا لكل كيف أن اتعس الأمم والأقوام التي لم تهتم عن تطبيق تعاليم الله الحق كما بينها في كتابه الكريم.

أما أن نقصر ونختص بالدعوة كل من ألم باللغة العربية وشعرها ومفرداتها وقواعدها، والحديث والسيرة والفقه، فهذا تقصير في حق الدعوة وفي تفقه وشرح الإسلام. فالقرآن الكريم مخاطب كل العلماء وفي جميع حقول الاختصاص العلمية وحضهم على تدبر وتفهم آياته الكريمة. فالعلماء المؤمنون في الطب، والفلك والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والنفس والاجتماع والقانون، والحضارات والنبات والحيوان وكل فروع العلم، هم ممن عناهم القرآن الكريم «بأهل الذكر» أي أهل الاختصاص ولهم الحق كل الحق إذا كانوا على إلمام باللغة العربية ومعانيها وإطلاع على

الحديث والسيرة ودراسة جديّة عميقة لآيات القرآن الكريم وأسباب التنزيل (وهذا الشيء ليس بالصعب أبداً على أي عالم بل يتطلب فقط الإيمان وبعض الوقت)، إن أهل الذكر هؤلاء أي أهل الاختصاص من العلماء، لهم الحق بتفسير وتأويل آيات القرآن الكريم كل في حقل اختصاصه فالرسول الكريم لم يفر لنا إلا آيات العقيدة والأحكام وبعضاً من الآيات العلمية في حقل العلوم المادية ربما، والله أعلم. التزاماً منه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾. وفي كل عصر وحتى يوم الدين سيجد المسلم وكل من أراد الإيمان اليقيني بالقرآن الكريم، البرهان القاطع والدليل الثابت، الذي يتناسب مع مستوى علمه وثقافته، وآخر ما كشفه العلم في زمنه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

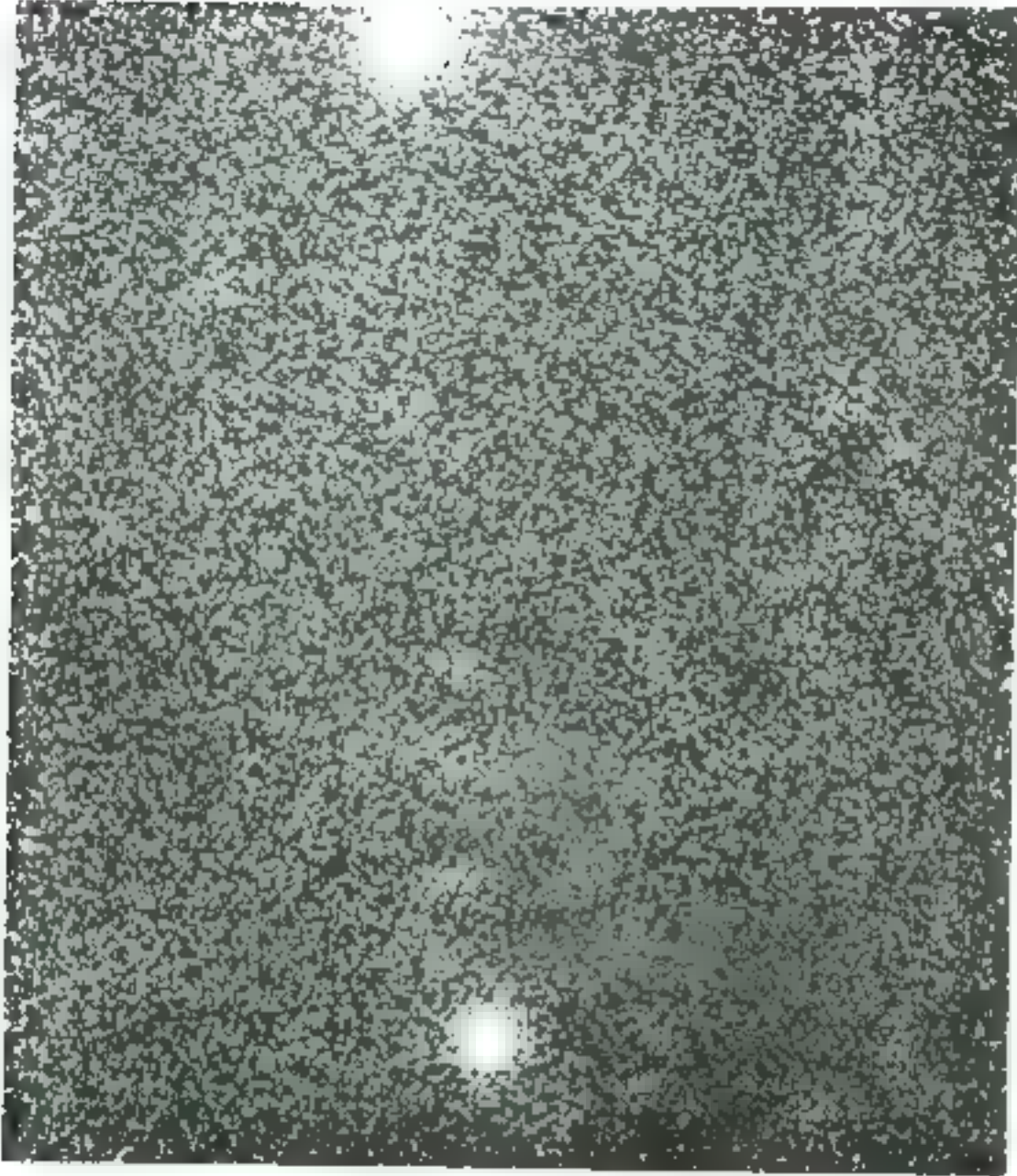
نرجو بكلماتنا هذه أن نكون قد خففنا شيئاً من حدة المناقشات التي نقرأها بين وقت وآخر في الكتب والمجلات التي تعنى بالإسلام، وتدور حول موضوع أخطى، في صياغة طرحه اجلاً، هل القرآن الكريم كتاب علم أو دين ومن يحق له تفسير معاني آياته رجال العلم أم رجال الدين؟

فالقرآن الكريم لا يمكن تعريفه إلا بأنه كتاب الله وكلامه، والكلام صفة المتكلم. والمولى عز وعلا عرف ذاته بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. كذلك كتابه الكريم ليس كمثله كتاب. ومن أراد تعريفه بأنه كتاب هدى ودين وإرشاد، أو كتاب علم، فقد عرف ميزة واحدة من ميزات كتاب الله الكثيرة والتي لا يحيط بها إلا قائله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (عندما يعلمون شيئاً من تأويله) يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧). فالقرآن الكريم هو في الحقيقة شرح لأسماء الله الحسنى: ومنها «الهادي» و«العليم» ولبت هاتان الصفتان هما كل أسماء الله الحسنى. وكل رجال العلم، سواء كانوا من علماء العلوم

المادية أو الإنسانية إذا توفرت فيهم شروط تفسير الآيات الكريمة من إيمان وتقوى وعلم ، لهم الحق بتفسير آيات المولى ، كل في حقل اختصاصه ، علماً أنهم ومهما بلغوا من تقوى فلن يلموا إلا ببعض الوجوه من معاني الآية ولن يحيطوا بها تماماً ، والقرآن الكريم سيأتي فائله المولى عز وعلا يوم القيامة وكأنه لم يُفَضَّ كما روي عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .



﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾



صورة حقيقية لوجه من أوجه المجرة اللبنة التي يتبع لها نظامنا الشمسي . تحتوي المجرة اللبنة على ما يقرب من مئتي مليار نجم . وفقدوا أنه يوجد مليار مجرة في الكون ، وأن الكون يحوي مليون مليار كوكب ونجم فقط . والرقم قابل للزيادة كل سنة ١ وكل نجم أو مجرة يسير في فلك خاص به وبسرعة قد تصل إلى ٦٥ ألف كيلومتر في الثانية . وأي اصطدام بين نجمين قد ينتج عنه كارثة كونية . ومع ذلك فلم ولن يحصل هذا . ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْصِتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبْدِهِ﴾ . ومن وراء كل ذلك ؟ الصدفة أم الطبيعة أم التطور ؟ لا . بل خالق مبدع عليم قادر

﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾



قلب الإنسان : أعجب وأتقن المضخات، يعمل بدون توقف منذ الأسبوع الرابع لحياة الإنسان وحتى موته، وزنه لا يتجاوز ٢٥٠ غراماً وينبض بمعدل ٧٠ ضربة في الدقيقة أي مئة ألف مرة يومياً، ويضخ ٥ لترات دم في الدقيقة، أي ما معدله مليون ونصف غالون في السنة، وهذه المضخة المعجزة توصل الدم إلى شبكة من الشرايين والأوردة والأوعية الشعيرية التي إذا وضعت جنباً إلى جنب في خط مستقيم فإن طولها يتجاوز مئتين ألف ميل تقريباً!!!



﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ ذَاتِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾



الطائر الذبابة ( Colibri ) : من إحدى أعاجيب الخالق في عالم الطير.  
وزنه لا يتجاوز خمسة غرامات وضوله ٣ متحركات. ومع ذلك فهو يستطيع  
أن يطير إلى الأمام أو الخلف أو يرتفع عمودياً أو يبقى في مكانه في الجو  
ويستطيع الارتفاع إلى خمسة آلاف متر في الجو. وسرعته قد تصل إلى معدل  
مئة كيلومتر في الساعة، ومئة رفة جناح في الثانية الواحدة!!!



## الفصل الأول

### النفس

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا  
رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(يوسف : ٥٢)

«جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» .

«اعرف نفسك» .

(سقراط)



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

علم النفس، خلافاً لبقية العلوم المادية، وكأكثر العلوم الإنسانية، ليس علماً بالمعنى المتعارف عليه، أي مجموعة قوانين وثوابت أثبت الوقت والتجربة صحتها كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وغيرها من علوم مادية، لذلك يختلط في أذهان الناس، وكثير من المهتمين بالعلوم النفسية التفريق بين الجسد والنفس والروح، وخاصة بين النفس والروح فيجعلونهما في معنى واحد. ولقد ساهم في هذا الغموض كثرة النظريات والمدارس النفسية والفلسفية التي عالجت ماهية النفس، والظواهر النفسية ومنشأها عند الإنسان والحيوان. والباحث المؤمن يجد في كتاب الله الكريم، وهو كتاب الهداية والصيانة للنفوس، كلمة الفصل في التفريق بين الجسد والنفس والروح، والثابت الذي نعتمده للتعريف بالظواهر النفسية ومسبباتها وسبل الوقاية منها، فهو الفصل وفيه تبيان كل شيء :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ٨٩).

### ١ - النفس في التعريف القرآني

الكل يتكلم ويكتب في النفس، والقلّة تستطيع تحديدها وتعريفها

بكلمات بسيطة . فهل من تعريف لهذه الأمانة بالسوء ، كما جاء وصفها القرآن على لسان سيدنا يوسف ﴿ وَمَا أَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا مَرَّةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف : ٥٣) ما كنه هذه النفس التي وصف مجاهدتها الرسول عليه الصلاة والسلام بالجهاد الأكبر فيما روي عنه «جئتم من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر»، قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال : «جهاد النفس» .

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم في ميتين وخمسة وتسعين آية كريمة ، تبين لنا من دراستها أن لكلمة النفس قرآناً معاني عدة كأكثر الكلمات في كتاب الله .

أولاً : وردت كلمة النفس في بضع آيات فقط ، تعني كلمة النفس فيها ، ذات الله تعالى أو صفاته . ففي قوله عز وجل قاتل : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : ١١٦) ، ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . <sup>الآيات الخمس في النفس</sup> كما ذكرنا ، ذات الله تعالى .

ولا نسمح لأنفسنا ، ولا ننصح أحداً بأن يبحث في ذات الله ، وإلا أصيب بالضياح أو الدوران في حلقة مفرغة تتعب العقل والمنطق دون جدوى ، ذلك ما فعله بعض الفلاسفة ، فالمولى عرّف ذاته بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ . والقاعدة النبوية الشريفة تقول : «تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله ، فإنكم لن تقدروا قلوه» رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله» .

أما في قوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران : ٢٨) ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران :

(٣٠). فالنفس هنا تعني صفة من صفات الله . والله أسماء صفات هي سبعة وتسعون اسماً هي من أسماء الله الحسنى أما «الله» و «الرحمن» فهما اسماء ذات، ومن الواجب التذكر في صفات الله ودعونه بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ ومن أسماء صفاته : الجبار ، والمتكبر ، والمولى يحذرنا من بطشه وانتقامه في هاتين الآيتين : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران : ٢٨) ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران : ٣٠) .

ثانياً : من معاني النفس قرآنياً : الروح ، والله أعلم ، إذا قرنت كلمة النفس بصفة المطمئنة . ولقد ورد هذا المعنى للنفس في آية واحدة من كتاب الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ (أي في جسد عبادي) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿ (الفجر : ٢٧ - ٢٩) . أما الروح فمن البحث البحث في ماهيتها أي : كنهها وتركيبها لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِنَّهَا بِرَبِّكَ عِلْمٌ وَإِلَىٰ هِيَ مَرْجِعُهَا ﴾ (البقرة : ٢٠٩) ، لذلك لا نسمح لأنفسنا أن نبهرق في ماهية الروح ، فالروح هي سر الخالق في الخلق ومن أمره ، وقد أغلق المولى معرفة سرها في قوله : ﴿ مَبْعَثَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس : ٣٦) ، أي أن المولى خلق مختلف أنواع الأحياء من الأرض ومن أنفسهم ومن الروح .

ثالثاً : أما بقية الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة النفس ، فإننا نستطيع أن نستخلص من خلالها القول بأن النفس هي مخلوق له كيانه الخاص وصفاته ومميزاته . فالنفس تموت وتفسى كبقية المخلوقات : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ . ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . والإنسان قد يظلم نفسه : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣) ، والنفس قد تكون أمانة بالسوء

﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ لذلك وجبت تزكية هذه النفس بذكر الله بالغدو والأصال لكي لا تكون من الغافلين ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٥).

فللنفس إذن معنى ثالث في القرآن الكريم ، فهي مخلوق له كيان مميز خاص به ، وكل مخلوق من مخلوقات الله من أصغر جسيم في الذرة إلى أكبر مجرة ، مؤلف من مادة وروح إلا الروح فلها كيان روحي فقط .

هناك قاعدة نعتمدها في التفسير فعندما لا نستطيع استخلاص معنى الكلمة من كتاب الله نلجأ إلى الحديث الشريف التزاماً بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤) . وإن لم نجد ، ونادراً ما يحصل ذلك ، نلجأ إلى معاجم اللغة .

فلقد روي عن الرسول الكريم قوله : ~~وما ليس له نفس سائلة~~ ، فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه . . . ~~كل شيء له نفس سائلة~~ فمات في الإناء ينجسه . والواضح أنه عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات قد عني بالنفس السائلة : الدم (عن لسان العرب رواء النخعي) .

وفي معاجم اللغة وجدنا أن من معاني كلمة النفس الدم ، يقال امرأة نفساء أي ولدت حديثاً ، وكذلك في قول الشاعر :

تسيل على حد الطُّبَات (السبوف) نفوسنا (دماؤنا)

وليس على غير الطُّبَات تسيل

استناداً إلى ما سبق ، نحن نُعرِّف النفس ، (معنى ثالث غير ذات الله وصفاته - والروح) بأنها الدم . فالدم هو المخلوق الوحيد في الجسم الذي نستطيع أن نقول بأنه مصدر جميع الظواهر العضوية والنفسية التي ننسبها إلى

النفس . وكما بدأ علم الكيمياء العضوية وعلم معالجة الأمراض النفسية  
بالمواد الكيميائية يثبت ذلك .

ومنذ منتصف القرن العشرين بدأ علماء الكيمياء العضوية يكشفون  
تباعاً أن كل القوى العقلية والانفعالات والتصرفات التي ندرسها اليوم تحت  
اسم الظواهر والأمراض النفسية والعقلية ما هي إلا نتيجة لتداخلات ومؤثرات  
مادية بواسطة مواد بيوكيميائية تفرزها مجموعات من الخلايا، وتصب كلها في  
الدم أو السوائل الناشئة منه والذي ينقلها بدوره إلى مختلف أعضاء الجسم  
التي ستكون مسرح الانفعالات والتصرفات التي ندعوها بالنفسية، سواء  
كانت سليمة أو مرضية من حور وسرور وانشراح أو غضب وخوف وقلق  
وهلوسة وضياح .

ولقد اكتشف العلم منذ بدء الستينيات سمات المواد الكيميائية في داخل  
الجسم وخارجه وكلها تتحكم في الظواهر والأمراض النفسية، وتنقل أو  
توجد أو تصب في الدم الذي ينقلها إلى مختلف أعضاء الجسم التي ستكون  
مسرح العوارض النفسية، وهكذا تتضح الظواهر النفسية . فإذا عرفنا النفس  
بأنها الدم، فهذا التعريف الموجز الجامع البسيط يتوافق مع ما بدأ علم كيمياء  
العوارض النفسية بإثباته . وهذا علم جديد لا يتجاوز عمره عشرين سنة، فكل  
العوارض النفسية من حور وغضب وهلوسة وهذوء تتحكم فيها بالحقيقة مواد  
كيميائية ينقلها الدم إلى مختلف أعضاء الجسم التي هي مسرح الانفعالات .

مثلاً: الخوف: هو عارض نفسي له ظواهر نفسية وعضوية، وتسببه  
مواد كيميائية، كذلك القلق والإحباط النفسي . ومنعاً لكل تساؤل من أنا إذا  
عرفنا النفس بأنها الدم، يصبح معنى ذلك أننا نستطيع تغيير نفسية الإنسان بتغيير  
دمه، نقول:

المسألة ليست بهذه السهولة، فالمواد الكيميائية التي تسبب الظواهر

النفسية تفرزها الغدد الصم ومختلف المراكز العصبية التي تصب هذه المواد في الدم .

فالدم هو مستقر ومستودع لمئات المواد الكيميائية التي تتأتى من مختلف أجزاء الجسم : كالجهاز الهضمي والغدد الصم ، والخلايا العصبية المنتشرة في مختلف أعضاء الجسم والدماغ ، لذلك فإن القول بأننا نستطيع تغيير نفسية الإنسان بتغيير دمه هو قول سطحي ومرفوض .

## ٢ - علاقة النفس بالجسم والعقل والروح

البعض يجعل من النفس والروح شيئاً واحداً والبعض الآخر يجعل من النفس والجسد أو العقل شيئاً واحداً أيضاً ، والحقيقة أن النفس والجسم والروح هي أشياء مختلفة .

النفس ليست الجسد ، فالجسد أو الجسم أو البدن هو وعاء النفس ، وقد عرفناها بالدم ، ومشرح تأثيراتها وعوارضها ونصرفاتها ، والدماغ المفكر العاقل ، هو آلة العقل ، وهو الذي يجب أن يكون اليد والميطر على النفس ومُسيرها وإلا أصبح تبعاً لها . أما الروح ونُعرفها بأنها أمر من المولى ومخلوق له كيان روحي فقط ، وسر من أسرار المولى ، فهي علة الحياة في كل خلق . وإذا سيطر العقل على النفس وفقاً لتعاليم الخالق ، ارتاح الجسد والروح ووصل الإنسان إلى السعادة الحقيقية أي الطمأنينة والسكينة ، فالنفس والبدن والروح ، هي مخلوقات رئيسية ثلاثة في الإنسان ، تتفاعل تفاعلاً وثيقاً مع بعضها البعض ، ولكي يسعد الإنسان يجب أن يسيطر العقل المفكر وفق تعاليم الخالق على النفس وأهوائها ونزواتها ، أما إذا انعكست الآية فأصبح العقل المفكر تبعاً للنفس الأمارة بالسوء فذلك مُتعب للروح وهي الجوهر ، وهي لا تسعد إلا إذا اتبع الإنسان تعاليم الخالق . والذين لا يعتقدون بالروح لن يستطيعوا أن يفهموا في العمق أسرار العوارض النفسية وأسرار السعادة



والسكينة عند المؤمنين ، ومن هنا كان وصفهم المخاطب للدين بأنه أفيون الشعوب ، والحقيقة أنه معادة الشعوب . أما الإلحاد ، فهو سبب الشقاء والقلق والتعاسة التي تلف الأفراد والمجتمعات ، غير المؤمنة اليوم ، مهما بلغت من رقي مادي .

### بعض الأدلة القرآنية :

أولاً : فَرَّقَ القرآن الكريم بين النفس والبدن ففي قوله تعالى مخاطباً فرعون الخروج الذي لحق ببدنا موسى وأغرقه المولى في البحر نجد أن نفس الفرعون قد ماتت مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ . أما بدن الفرعون فقد قضت حكمة المولى أن يبقيه منذ ثلاثة آلاف سنة ونيف إلى يومنا هذا ، ليكون بدن الفرعون آية وبرهاناً مادياً محسوساً قاطعاً للذين يأتون بعد الفرعون ، على صديق التنزيل ، فبدن أي مومياء الفرعون الذي لحق بموسى موجود حتى اليوم في متحف القاهرة بمصر .

نقرأ في سورة يونس : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعُدْواً ، حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْمُرُورُ حَالَ كَيْفَ أَتَى إِلَى الْدَرْيِ آمَنَ مِنْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَيْدِكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (يونس : ٩٠ - ٩٢) . وسبحان الذي لا تبديل لكلماته ، فلقد غفل أكثر الباحثين في القرآن الكريم عن معاني هذه الآية في العمق إلى أن أتى الدكتور «موريس بوكاي» كما أشرنا سابقاً ، في أواخر القرن العشرين ، ليحقق علمياً وتاريخياً في كل كلمة من هذه الآيات ويؤكد صدقها . وقد نشر ذلك في كتابه القيم : «التوراة ، الإنجيل ، القرآن والعلم» ، فليرجع إليه من يريد الزيادة . بالإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن التحنيط أي حفظ الأبدان لا يصح ويثبت إلا باستخراج وطرح الدم والسوائل التي تكونه أو تنشأ عنه ، وفي ذلك دليل علمي آخر على أن النفس غير البدن ، علماً أن الأبدان

وكل شيء سيفنى ويموت مع مرور الزمن، إذ ثبت اليوم علمياً أن كل الأشياء  
تفنى وتندثر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. ﴿كُلُّ مَنْ  
عَلَيْهَا فَاَن . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

ثانياً: والنفس ليست الروح كما اعتقد وكتب الكثيرون: وإلا فما الذي  
يصعد إلى البرزخ عند الموت إذا كانت النفس هي الروح ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ  
الْمَوْتِ﴾ ومن يطلب من المولى الرجوع إلى الحياة بعد الموت إذا كانت  
النفس هي الروح ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي  
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ  
يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠).

وإذا كانت النفس هي الروح فما هو الذي يعرض على النار من آل  
فرعون بعد موتهم في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ  
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦)، وبماذا تزوج  
النفس يوم البعث إذا كانت هي النفس ﴿وَأَنفُسُكَ وَمَن يَرْجِي تِلْكَ الْغَايَةَ﴾ (الأنبياء: ٩١) وإذا  
التفوس زوجت؟

فالروح هي الجوهر المسبب والمحرك الأول لكل حياة، والعقل  
المفكر وآلة الدماغ الإنساني هو الذي أعطاه المولى السيادة والذي يجب أن  
يسيطر على الدماغ الحيواني فينا والذي بواسطته تحقق النفس نزواتها  
وأهواءها. (في دماغ الإنسان مراكز تسمى بالدماغ الجديد أو الدماغ المفكر،  
ومراكز تسمى بالدماغ الحيواني مصدر الانفعالات والظواهر النفسية  
والمضوية من غضب وجور ولذة ونعاسة وقلق وطمأنينة وغيرها).

نحن نعتقد من زاوية إيمانية قرآنية أن الروح مركزها الرئيسي في الصدر  
والقلب، ومن القلب تتوزع الروح بواسطة النفس أي الدم إلى كل خلية من

خلايا البدن فتبعث فيها الحياة. ومن هذه الزاوية نستطيع أن نفهم شيئاً من أسرار الآيات الكثيرة التي وردت فيها كلمة القلب والصدر، فالله يتلى ما في صدورنا ويمحص ما في قلوبنا ﴿وَلِيَتْلِيَّ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (آل عمران : ١٥٤)، وينزل سكينة في قلوبنا ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَزِدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾. ونحن نفقه بواسطة قلوبنا ويطلع ويختم على قلوبنا : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾. ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ولولم يودع المولى في هذا العضو الكثير من أسرار كالأرواح والإيمان وغيرهما لما كرمه هذا التكرم.

بكلمة مختصرة قرية من الأذهان : إن القلب الذي تسكنه الروح وأسرار إلهية أخرى هو محطة البث والإرسال الرئيسية في الجسم والنفس أي الدم، هي موجات الأثير التي يتقل عليها ما يقع القلب إلى الدماغ المفكر الذي يشكل شاشة الاستقبال والتوزيع إلى مختلف أعضاء الجسم. وإذا اختلت محطة الإرسال والبث اختلت وظيفة أعضاء الجسم ومن هنا أهمية القلب ليس من الناحية العضوية، ولكن من الناحية الروحية أيضاً ولقد وردت كلمة القلب في القرآن الكريم في مئة واثنين وثلاثين آية كريمة تدليلاً على أهميته عند الإنسان.

ولا نستطيع أن نفهم الموارد والانعقالات والأمراض النفسية ومسبباتها وانعكاساتها العضوية في الجسد وتأثير الروح والعقل سلباً أو إيجاباً في كل هذه المظاهر النفسية - العضوية إلا إذا سلمنا، وحسب الهندي القرآني، أن في الإنسان نفساً وعقلاً وروحاً، وأن الروح هي العلة الأولى، وسبب الحياة، هي الجوهر، وهي تتفاعل تفاعلاً وثيقاً حميماً مع العقل والنفس، التي هي مصدر جميع الانفعالات والظواهر النفسية وما يتبعها من انعكاسات عضوية بالجسم، وبقدر ما نسمو بالجوهر ونبعد به عما نهى عنه

الله بواسطة العقل المفكر، تصفو الروح وترتاح النفس وتكون عواطفنا وانفعالاتنا النفسية وانعكاساتها العضوية سليمة وصافية وبعيدة عن المظاهر المرضية .

وكل المدارس والنظريات المادية التي لا تعترف بالروح ، لم تستطع أن تفهم أو تشرح في العمق الظواهر النفسية ، ولذلك لم تجد حتى الآن الدواء الشافي لها لأنها أهملت حلقة رئيسية في ترابط النفس والجسد أي الروح ، والثلاثة أي الروح والنفس والجسد هي ، تسلسلاً ، حلقة ومصدر ومسرح الظواهر النفسية ويتأثر بعضها ببعض سلباً أو إيجاباً .

### ٣ - تعريف النفس في علم النفس الوضعي

لم نجد للنفس في كتب العلوم النفسية التعريف الذي يرضي ، وإنما حاول كل صاحب مدرسة نفسية أن يعرفها حسب نظريته الفلسفية الشخصية إلى الأشياء ، ولقد بقي المهتمون بعلم النفس وحتى منتصف القرن العشرين ينظر أكثرهم إلى النفس والعلوم النفسية على أنها أشياء غير مادية إلى أن تبين لعلماء الكيمياء العضوية أن كل القوى العقلية والانفعالات والتصرفات التي ندرسها اليوم تحت اسم الظواهر والأمراض النفسية والعقلية ما هي إلا نتيجة لتداخلات ومؤثرات مادية بواسطة مواد بيوكيميائية تفرزها مجموعات من الخلايا وتصب كلها في الدم أو السوائل الناشئة منه والذي ينقلها بدوره إلى مختلف أعضاء الجسم التي ستكون مسرح الانفعالات والتصرفات التي ندعوها بالنفسية ، سواء كانت هذه الظواهر سليمة أو مرضية من حبور وسرور وانشراح أو غضب وخوف وقلق وهلوسة وضياح .

ولقد اكتشف العلم منذ بدء الستينات مئات المواد الكيميائية في داخل الجسم وخارجه وكلها تتحكم في الظواهر والأمراض النفسية ، وتنقل أو توجد أو تصب في الدم الذي ينقلها إلى مختلف أعضاء الجسم التي ستكون

مسرح العوارض النفسية، وهكذا تتضح الصورة تدريجياً، فإذا عرفنا النفس بأنها الدم، فهذا التعريف الموجز الجامع البسيط هو ما بدأ العلم بإثباته، وهو ما فهمناه من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التي ذكرت فيها كلمة النفس، والله أعلم.

#### ٤ - وقفة علمية مع آية كريمة في النفس

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس : ٧) .

إنها آية قسم، ولقد درسنا آيات القسم في القرآن الكريم، فوجدنا أن المولى عز وعلا، أقسم بكل مخلوقاته ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ تنبيهاً للقارىء العاقل ليفكر في عظمة منعة الباري، لأن كل مخلوق من مخلوقات الله من الذرة إلى المجرة هو إعجازي متقن الصنع ﴿صَنَعَ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . ولقد قسم المولى بعض مخلوقاته ومنها النفس، بالقسم، وفي هذه الآية قسماً وليس قسماً واحداً، فالمولى يقسم بالنفس ككل أولاً ثم بما تتألف منه من مكونات ومكونات ثانياً، وسبحانه لم يخلق شيئاً إلا كان سوياً أي في غاية النمام والكمال والإبداع ﴿سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ .

ومن الحق علينا، أن نشرح للقارىء وبمختصر التبسيط والاختصار المعاني العلمية التي تكمن في هذه الآية الكريمة فلا شيء يثبت المؤمن في إيمانه، ويجعله يتعلق بكتاب الله الكريم ويلتزم بتعاليمه، كتدبر آياته وفهمها فهماً علمياً في العمق ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ .

#### ١ - النفس بمعنى الدم ككل :

يحوي جسم الإنسان بين خمسة وستة لترات من الدم تجري في شبكة توزيع مؤلفة من الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية هي من الامتداد والشعب بحيث توصل الدم وما يرشح منه من مكونات إلى كل خلية من

خلايا الجسم الإنساني وعددها ما يقرب من مئة ألف أو مليون خلية ولقد قدروا أن هذه الشبكة التي يجري فيها الدم يبلغ طولها تقريباً إذا وضعت في خط مستقيم ما يقرب من مئة ألف ميل !

الدم هو موسوعة ، بل مجموعة موسوعات ، من المواد الكيميائية ، التي يتطلب درسها والكتابة عنها عشرات الموسوعات الطبية في علم الكيمياء العضوية ، وعلم الوراثة وعلوم الأمراض وغيرها ، ويكفي أن نذكر بأن دم الإنسان يحتوي تقريباً على خمسة وعشرين بليون كرة حمراء يهلك منها في كل ثانية مليونان ونصف من الكريات يجندها تلقائياً مخ العظام ، كما أنه يحتوي على ثلاثين مليون خلية بيضاء ، هي جنود الجسم وعدته في المناعة والدفاع ، وهناك أيضاً ما يقرب من مليار صفيحة لها الدور الرئيسي في تخثر الدم .

أما مكونات الدم الكيميائية <sup>باللغة لها تطول كل يوم إذ تتعدى المئات بل الآلاف من المواد الكيميائية المعقدة ، ويمقدور المختبرات اليوم أن تفحص وتزن القليل منها وتجعلها تتصرفات روكيت في متاول الجمهور .</sup>

كشف علم الوراثة منذ سنوات فقط ، أن بصمات الأصابع ليست وحدها التي لا تتشابه عند مختلف الناس ، بل إن الدم أيضاً يختلف باختلاف الأشخاص ، فلا يوجد دم عند شخص مشابه لدم إنسان آخر من الوجهة الوراثية إلا عند التوائم الصحيحة ، علماً أن إعطاء أي مريض دماً من فصيلة دمه لا يعني قطعاً أنه يتشابه معه تماماً . ومن هنا تفهم العمق العلمي في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١) فمن نفس واحدة ، هي نفس سيدنا آدم خلق المولى عشرات المليارات من الأنفس التي تختلف عن بعضها البعض وعن النفس الأم المصدرة . وقد تبين ذلك لعلماء الوراثة حديثاً ، فاحتمال

تشابه شخصين من الوجهة الوراثية البحتة هو احتمال جزء من الرقم عشرة مسبوقة بأربعين صفراً (  $\frac{1}{10,000,000,000}$  ) من هنا نفهم في العمق معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرُّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ( الانقطار : ٦ - ٨ ) ولقد قضت حكمته تبياناً لقدرته في الخلق أن لا يتشابه أي مخلوق من مخلوقاته مع آخر ومنذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة وهذا ما كشفه علم الوراثة في النصف الأخير من القرن العشرين .

## ٢ - بعض التفاصيل العلمية لمكونات الدم :

أي الشرح العلمي لقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ .

### ١ - كُرْبَةُ الدم الحمراء :

قطرها يبلغ سبعة ميكرونات (الميكرون يساوي جزءاً من الألف من المليمتر) ، ولها من الخاصية بحيث أنها تتكيف لتصل إلى أوعية شعرية هي أصغر منها قطراً ، حاملة إلى كل خلية من خلايا الجسم الأوكسجين ، كما تخلصه من فضلات الاحتراق أي ثاني أوكسيد الكربون ، في رحلة تقطع فيها في خلال حياتها التي تدوم مائة وعشرين يوماً مسافة ١١٥٠ كيلومتراً تقريباً وبمعدل دورة دموية يومياً تقريباً ، أما ما تتألف منه كُرْبَةُ الدم الحمراء فنذكر فقط بأن الخضاب ( hemoglobine ) الذي يؤلف المادة الكيميائية الرئيسية فيها والمولجة بنقل الأوكسجين واستخراج غاز ثاني أوكسيد الكربون يتألف من أربعمائة وخمسين حامضاً أمينياً ، أمضى آلاف العلماء من المختصين بالكيمياء البيولوجية وعلوم الدم الوراثة معظم سني حياتهم في دراسته وما يزالون كل يوم يكتشفون في هذه الكُرْبَةِ المعجبة وفي خضابها خصائص وأمراضاً جديدة .

ليست هذه الكُرْبَةُ الحمراء هي التي أقسم بها المولى ، من بين ما أقسم له بقوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أو بقوله تعالى ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴾ أي

الأشياء المختفية عن العين المجردة، ﴿الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾ أي التي تجري في الجسم وتكنس خلاياه من فضلات الاحتراق الذي يحصل داخل الخلايا. فهناك أشياء ونحن وكنس داخل الجسم كما رأها الأطباء، ونحن وكنس كما رأها العلماء في الكون. ولنا وقفة علمية مطولة عند التعليق على قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ الجوّاري الكُنُوسِ في كتب لاحق إن شاء الله تعالى.

ب - عملية الدم البيضاء :

إنها من أعاجيب مخلوقات الله هذه الخلية البيضاء والتي لا يتجاوز قطرها خمسة عشر جزءاً من الألف من المليمتر، مع ذلك فقد جهز المولى هذه الخلية البيضاء وخاصة ما يسمى بالخلايا البيضاء القاتلة، وخلايا «ب» بخاصة ميزة الاستكشاف والإنذار والمهاجمة والقتل والتحصين ضد كل عدو خارجي يهاجم الإنسان وكذلك بالخصبة لمقبة الأحياء. ويقدّر العلماء أن «الرادار» الذي تتمتع به الخلية البيضاء القاتلة يستطيع أن يكتشف مشات الملايين وحتى بضعة مليارات من الأجسام الغريبة التي تدخل الجسم خلال دقائق أو ساعات، ثم ينذر الخلية البيضاء «ب» فيأمرها بفرز أجسام المناعة الخاصة ضد كل دخيل في نفس الوقت الذي تتجه فيه لملاقاته ومقاتلته، ليست خلايا الدم البيضاء التي تكشف كل دخيل على الجسم وتتعبه وتهاجمه وتقتله كي تحفظ الجسم هي من بين ما رمزت إليه الآية الكريمة : ﴿لَهُ (أي للإنسان) مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ (أي معقبات نراها كخلايا الدم وغيرها مما يحفظ الإنسان) وَمِنْ خَلْفِهِ (أي معقبات لا نراها كالملائكة المولجة بحفظ الإنسان) يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد ١١) والله أعلم.

مرة أخرى نردد على مسمع المنكرين لوجود الخالق : ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الْغَيْرُ مِنَ دُونِهِ﴾ عشرات الآيات تتحداهم علمياً منذ التنزيل : ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا



تَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي  
السَّمَاوَاتِ آتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾  
(الاحقاف: ٤).

وفي الدم أيضاً نوع آخر من الخلايا البيضاء وظيفتها رفع القمامة وتنظيف الجسم من بقايا الجثث التي تركها معارك الخلايا البيضاء مع الميكروبات والأجسام الغريبة عن الجسم ، أولست هذه الأنواع من الخلايا البيضاء وهي التي تقوم بدور عامل التنظيف في الجسم ، بالتي أقسم عليها المولى من بين ما أقسم به بقوله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ. الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾ ما دامت تجري ليل نهار لتكنس كل جزء من أجزاء الجسم من جثث الخلايا الميتة من ميكروبات وغيرها؟ الله أعلم .

۳۔ اوکل شیء فصلناہ تفصیلاً :

هذه بعض التفاصيل المبسطة لما تألف من خلية الدم البيضاء، علنا  
نظفهم في العمق معاً بعد المعنى العلمي في قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾.

يغلف الخلية غشاء خلوي ~~ميكانيكي~~ <sup>ميكانيكي</sup> يتكون من ١٥ - ١٤٠ أنغستروم (الأنغستروم هو جزء من مليون من المليمتر الواحد) وهو شبه «منخل» ذكي إذ ترشح منه المواد الكيميائية إلى داخل الخلية وخارجها بصورة منظمة وفقاً لحاجات الخلية، والتي تتغير كل ثانية وفقاً لحاجات الجسم ومتطلباته.

ما بين الغشاء الخلوي ونواة الخلية توجد الهولى الخلوية وهذه تحوي  
فى ما تحوي خمسة ألف جسم ريبى (نوع من المواد الكيميائية العضوية)  
و ٥٠٠ مليون ذرة أنزيمية .

النواة الخلوية هي مركز الرئاسة وتنظيم الأمور في الخلية ، تحتوي في ما تحتوي على ثروة وراثية مخنصة بكل إنسان ، وهي لا تتشابه تماماً مع أي مخلوق آخر إلا عند التوائم الصحيحة المتكونة من بيضة ملقحة واحدة .

هذه الثروة الوراثية تتألف عند الإنسان من ستة وأربعين صبغية

(Chromosome) وكل صبغية تحمل ما بين ١٠ - ١٥ ألف مُورثة (gene) وكل مُورثة هي مادة كيميائية تتألف من مئة مليار ذرة مختلفة التركيب، وفي أبسط ذرة من هذه الذرات ذرة الهيدروجين عشرات الجسيمات، وكل جُسيم هو علم قائم بذاته كالألكترون والبروتون والنيوترون والكوارك وغيرها من جُسيمات لم يكتشفها العلم حتى الآن.

والجسم الإنساني يتألف من مائة ألف مليار خلية حية. ففي حساب بسيط: إن قسماً فقط من خلايا جسم الإنسان مجتمعة يحتوي من الذرات ما عدده التقريبي طبعاً  $(10^{11}) \times 500,000 \times (10^{11})$  أي الرقم خمسة وعشرون مبقواً بواحد وثلاثين صفراً، علماً أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان بمعنى التعقيد وبديع الصنعة ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فلا تملك أمام هذه المعطيات البسيطة التي اكتشفها العلم وأجزأها بأبسط التعابير إلا أن نردد بخشوع كلي ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

مرآة الحقيقة كميون علمي

الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿سَتَرِبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، ومع هذا نفراً ونسمع من يجادل في الله ﴿سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

هذه النفس الدم التي خلقها الله سوية في أحسن تقويم، ككل شيء خلقه، ما كان ليتنقل بواسطتها ما ينتقل من أمراض وراثية (ثلاثة آلاف مرض وراثي حتى الآن) أو غير وراثية، وما كان ليتج عنها ما ينتج من أهواء وانفعالات مؤذية وأمراض نفسية، لو زكاها الإنسان بعد أن عرفه الله ما يصلح لها وما يفسدها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ والعلم اليوم يبين أن أكثر الأمراض النفسية والعقلية والشبهات الخلقية والعضوية هي نتيجة لما قدمت يد الإنسان من آثام وأخطاء وكلها تترك آثارها السلبية في نفسه (أي دمه)

وتنقل إلى ذريته القرية والبعدة : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .  
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ  
مَمْنُونٍ﴾ (التين : ٤ - ٦) .

كلمة أخيرة :


أقسم المولى بأحد عشر قسمًا في سورة الشمس ﴿ وَالشَّمْسُ  
وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا . وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَّشَاهَا . وَالسَّيَّارُ  
وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا  
وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا . ﴾ (الشمس : ١ - ١٠)  
على أن الإنسان مخير بين التقوى والفجور في معتقده ، مع ذلك فهناك من لا  
يزال يناقش في موضوع الاختيارية والجبرية في الإسلام مع أنه محسوم منذ  
التزليل بحرية الاختيار بين الفجور والتقوى ~~في~~ قبل العبد بما خص المعتقد  
ونحضرنا هنا كلمة جميلة للحسن بن علي رضي الله عنهما في هذا الموضوع إذ  
يقول : « من حمل ذنبه على ربه فقد فجر . إن الله تعالى لا يطاع استكراهاً ولا  
بعض بغلبة فإن عمل الناس بالطاعة لم يخل بينهم وبين ما عملوا وإن عملوا  
بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم ، ولو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب ،  
ولو أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزاً في  
القدرة ، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم وإن عملوا بالمعصية فله الحجة  
عليهم » .

## ٥ - المستقر والمستودع

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٩٨).

الدم يعد أنسجة الجسم بالكريات الحمر والبيض، فهو إذن مستودع بالنسبة لهذه الأنسجة، والدم هو أيضاً مستقر لكثير من المواد الكيميائية التي

تظل نسبتها مستقرة فيه كالسكر والبروتينات والبولة الدموية والأملاح البولية وغيرها، فنسبة السكر في الدم هي مستقرة أيضاً بمعدل غرام واحد في كل ليتر دم، وكلما زادت هذه النسبة أو نقصت بحكم عمل الجسم واستهلاكه للسكر، تدخل الكبد والعضلات لإمداد الدم بكمية السكر الناقصة لتبقى نسبته مستقرة في الدم، وبالعكس فإن زادت كمية السكر في الدم بحكم تناول الكثير من السكريات وعدم حرقه، تدخل الهرمونات الموكلة بذلك، فتودع النسبة الزائدة في الكبد والعضلات.

والدم هو المستودع الذي يمد كل خلايا الجسم وأعضائه بما يلزمه من مواد غذائية ومنشطات وهرمونات ومواد كيميائية، لذلك فإن هذه الآلية الكريمة لا يمكن أن نتبين شيئاً من أبعادها العلمية إلا إذا عرفنا النفس بأنها الدم، وأن الجسد وعاقوها ومسرح انفعالاتها، وقد يسر المولى تفصيل بعض معانيها للذين يفقهون، أي للعلماء،  يخشى علينا بأن نحاول أن نختصر ما أمكننا فهمه ونبسطة بصورة توجب من أذهان القاريء العادي.

١ - أنشا الخالق العظيم كل المخلوقات الإنسانية، من نفس سيدنا آدم، فجعل فيها المستقر والمستودع وجاءت علوم الخلايا والأنسجة والكيمياء العظوية ووظيفة الأعضاء لتبين اليوم أن في النفس الإنسانية وقد عرفناها بالدم، يوجد مستقر ومستودع لآلاف المواد الكيميائية، كما أن علم دراسة الخلايا يُبين أن في كل خلية حية موادٌ مُستقرة، وأخرى مُستودعة بشكل احتياطي ووظيفتها تأمين الاستقرار والنسب شبه الثابتة للمواد الأولى كلما تغيرت هذه وفق متطلبات عمل الخلية، (والدم الذي عرفناه بالنفس من مركباته كريات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح).

وفي الدم خلايا متخصصة مستقرة هي الكريات الحمراء والبيضاء، وبالرغم من أن الجسم يفقد في كل ثانية مليونين ونصف من الكريات الحمراء فإن نقي العظام (لب العظام) يعوضها تلقائياً حتى تبقى نسبة الكريات الحمراء

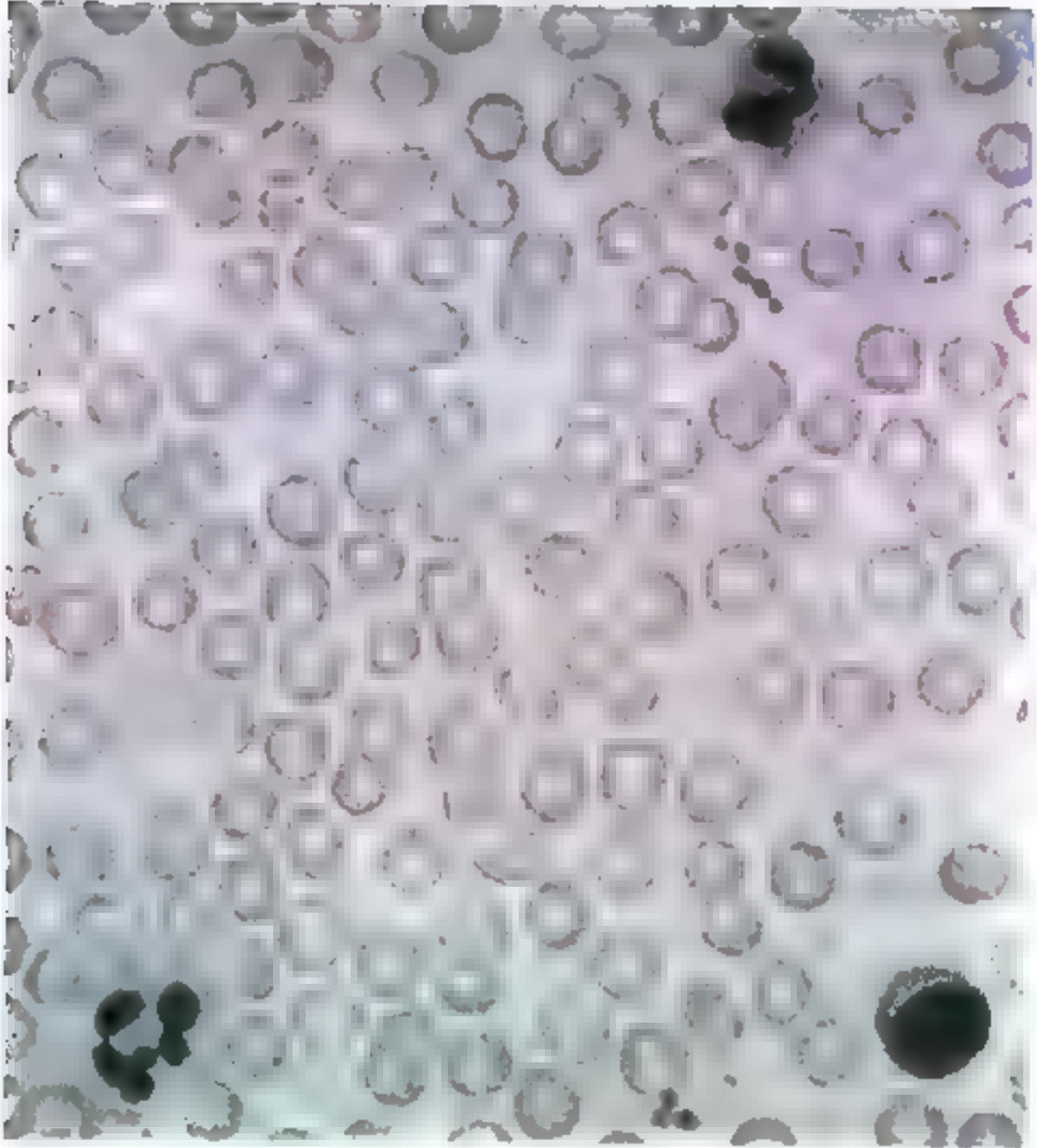
والبيضاء مستقرة في الدم، وفي هذه الحالة الدم هو مستقر<sup>(١)</sup> الكريات الحمراء والبيضاء ونقي العظام هو مستودعها، (لب العظام يدخل في تركيب النفس لأنه مصدر الكريات البيضاء والحمراء).



---

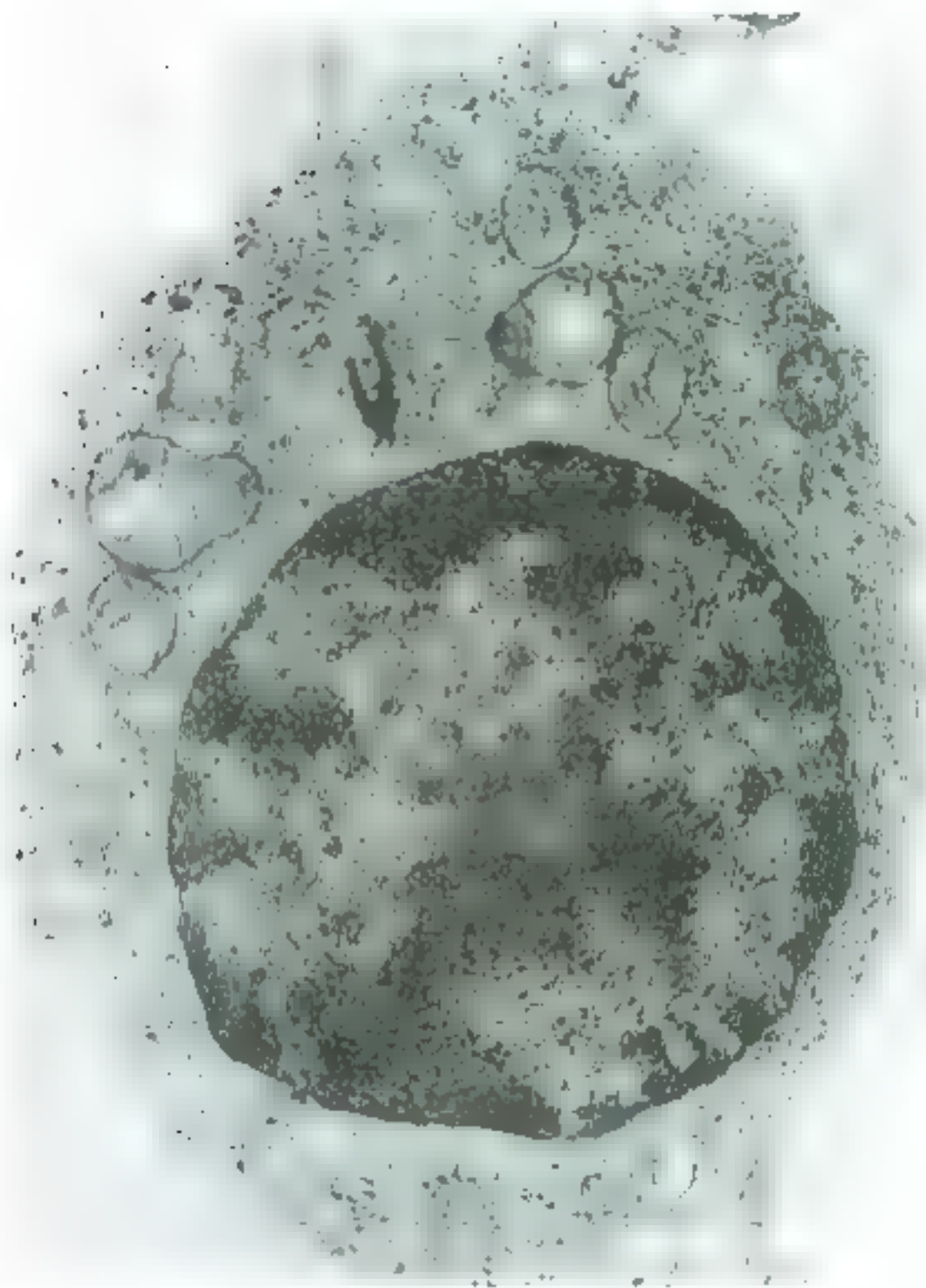
(١) لغوياً: المستقر هو المكان الذي تستقر الأشياء فيه بنسبة محددة مثلاً: الدم هو مستقر مكر الجلوكوز (glucose) الذي هو بنسبة غرام واحد في اللتر من الدم. أما المستودع، فهو المكان التي تستودع فيه الأشياء. أما نسبها وكمياتها فتتغير حسب المرض والطلب والحاجة ومنها، كنسبة الهرمونات في الدم التي تتغير حسب الحاجة وساعات الليل والنهار.

﴿ فلا أقسم بالخنس - الجوارى الكنس ﴾



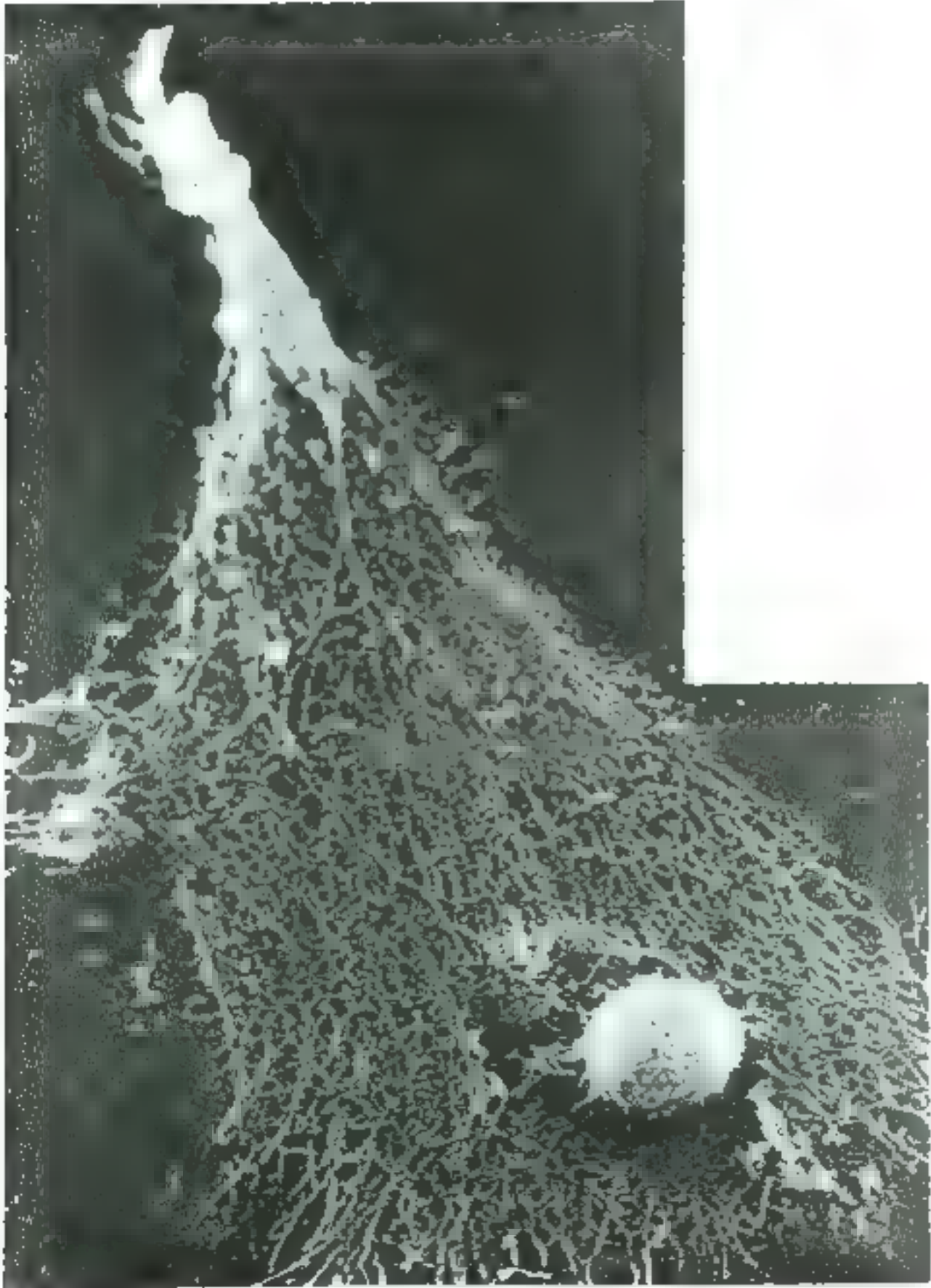
صورة حقيقية لكريات الدم الحمراء والبيضاء وهي تجري ليل نهار حاملة  
الأوكسجين لكل خلية من خلايا الجسم في الوقت الذي تكنس أي تأخذ منها  
غاز ثاني أوكسيد الكربون الضار

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾



إن وراثة هذه الخلية الموجود في غشائها الخارجي وسمكه لا يتجاوز ١٢٠ - ١٤٠ من مليار من المليمتر يستطيع كشف مئات الملايين بل المليارات من الأجسام الغريبة عن الجسم وفي جزء من نواتها يوجد خمسون مليون مليار ذرة مختلفة

﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ يَمِينٍ وَيَسَارٍ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾



إصابة قاتلة لخلية الدم البيضاء في خلية سرطانية (خلية الدم البيضاء لا تزال سليمة في وسط الصورة أما خلية السرطان فأصبحت ميتة وأشبه بالشبكة)



﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾



خلية سرطانية (في أعلى الصورة) وقد اتجهت لمقاتلتها خلايا الدم البيضاء  
القائلة



## الفصل الثاني

### القلق والخوف الطبيعي والمرضي

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا،  
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

القرآن الكريم: سورة الحجر: ١٩-٢٢

«اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بخلقك  
وترضى بقضائك وتقتنع بعطائك».

من دعاء الرسول عليه السلام

«القرآن الكريم رسم للناس جميعاً سبيلاً يصلون فيه إلى  
هدف عظيم ألا يكونوا في مهب الريح».

مجاهد نعمة



## ١ - تمهيد

القلق والخوف يلفان الإنسانية أفراداً وجماعات منذ أن كانت الإنسانية العاقلة، إلا من رحم الله وَمَنْ عَلَيْهِ نِعْمَةُ الْإِيمَانِ والقلق النفسي هو نسبة متصاعدة كلما تقدمت الحضارة المادية وابتعدت الإنسانية عن فهم تعاليم الله والالتزام بها. والإحصائيات اليوم تؤكد ذلك، فلقد استهلكت فرنسا في عام ١٩٨٢ أكثر من مئة مليون عبة دواء من المنومات والمهدئات. وفي الولايات المتحدة الأميركية، هناك وصفة واحدة لدواء مهدئ للأعصاب من كل أربع وصفات طبية عادية. أما الأمراض النفسية والمشاكل الاجتماعية والمآسي الأخلاقية والانتحار، فهي الأعلى نسبة في البلدان المتقدمة على صعيد الحضارة المادية والأبعد عن تعاليم السماء، بالرغم من أن هذه البلاد المتحضرة، كما يصفونها، قد أمنت لأفرادها سبل الرفاهية المادية والضمان الاجتماعي منذ الولادة وحتى الممات، فما سبب وتعليل ذلك؟ الجواب نجده في كتاب الله الكريم، فالإنسان كان ولا يزال وسيظل كما وصفه أعلم العالمين به ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾. ﴿لَمَنْ يُلَئِمْنَ رَبَّهُمْ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾. ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

هناك ثلاثة أسئلة رئيسية تطرح نفسها في كل ثانية، على تفكير كل امرئ عاقل، سواء كان ذلك بصورة شعورية أو شبه شعورية، وأغلب الأوقات بصورة لا شعورية، فكل فرد عاقل يتساءل بينه وبين نفسه، لماذا جئت إلى هذا الوجود؟ وما هو دوري ومعنى حياتي في هذه الدنيا؟ وكيف سيكون مصيري بعد الموت؟ وإذا لم يجد كل ذي عقل ومنطق حلاً منطقياً لهذه التساؤلات الثلاثة المتكررة في تفكيره، منذ ولادته وحتى مماته فهو حتماً مريض نفسياً بصورة ظاهرة أو مستترة.

وفي القرآن الكريم الجواب على هذه التساؤلات الثلاثة والحل العلمي والمنطقي الذي يقنع كل ذي عقل ومنطق سليم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾.

فوجود الإنسان في هذه الحياة هو نعمة وهبة من الخالق. والوجود خير من العدم، والحياة هنا امتحان وإبلاء، والحياة الحقيقية الخالدة السعيدة هي في ما بعد الموت وحين البعث ~~وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ~~ ~~وَالْأَخِرَةُ لَهِیَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ~~ (العنكبوت: ٦٤).

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾ (الاسراء ٩)

اعرف نفسك «ومن عرف نفسه عرف ربه» هنا يكمن سر السعادة، وهي ما ينشده كل مخلوق حي، وكل المدارس النفسية والاجتماعية والفلسفية، التي تحاول الإجابة عن تساؤلات الإنسان في معنى الحياة والموت، دون الأخذ بتعاليم السماء الحقة أخفقت وستخفق في تشخيص العلة ووصف الدواء، وهذا ما نلمسه اليوم.

أما في القرآن الكريم والسيرة والحديث الشريف فنجد التشخيص الحقيقي للأسباب التي تُشفي الأفراد والمجتمعات، والدواء المنطقي الناجع

لها ﴿ وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ . ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وفي الحديث القدسي : «عبيدي أطعني في ما أمرتك ، ولا تعلمني بما يصلحك ، أنا أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمري ، ولست ناظراً في حق عبد حتى ينظر العبد في حفيء .»

## ٢ - ظاهرة الخوف والقلق النفسي

### (١) الخوف والقلق النفسي الطبيعي :

يجدر بنا أولاً أن نفرق بين الخوف والقلق المرضي والقلق والخوف الطبيعي أي الفيزيولوجي . وهذا الأخير هو إحساس نفسي بالضيق مصحوب في أغلب الأحيان بتغيرات فيزيولوجية هي أداء وظيفة معظم أعضاء الجسم . والقلق الطبيعي قد يسبق أو يصاحب المصنع لبعض الوقت المواقف التي يتعرض لها الإنسان في ذاته لخطر متصور وهو ضرورة فيزيولوجية يتمكن بواسطتها الإنسان من مواجهة الأخطار أو تعاديبها كل حسب استعداده النفسي وتركيبه الفيزيولوجي . والقلق الطبيعي ليس مقصوراً على الإنسان بل الحيوان وحتى النبات ويدخل في ما يسمى بغريزة حفظ الذات .

وقد وصف القرآن الكريم مختلف درجات القلق والخوف الطبيعي مع ما يصاحبها من أعراض عضوية في الجسم ، ما لم تزد عليه كتب النفس اليوم شيئاً ، إلا في التفاصيل وهذه الدرجات هي تصاعدياً :

الضيق النفسي : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَبُحِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ جَنِّي يَأْتِيكَ الْيَقِينُ ﴾ .

(الحجر: ٩٧ - ٩٩) .

الخوف : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ

أَعْيَبُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿ (الأحزاب : ١٩) .

الجزع : (قلة الصبر) : ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ (المعارج : ٢٠) .

الهلج : قلة الصبر مع شدة الحرص في كل شيء ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج : ١٩ - ٢٢) .

الرعب : أعلى درجة من الهلع ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ (الأنفال : ١٢) ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (الأحزاب : ٢٦) .

الفرع : (الذعر) : أعلى درجة من الهلع ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٣) .

الذهول : حالة ضياع عقلية عميقة نتيجة الخوف الشديد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ الْعَرْشِ عَظِيمَةٌ يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ﴾ (الحج : ١ - ٢) .

سكاري : (أي ضائع) حالة ضياع عميقة نتيجة الخوف الشديد ﴿ ... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج : ٢) .

هذا الخوف الطبيعي أمام كل شيء مجهول ، أو مخيف ، يهلك الإنسان في ذاته ووجوده ، ليس مقصوراً فقط على العامة من الناس ، بل اعتري بعض الأنبياء عليهم سلام الله أجمعين ، فإبراهيم وموسى وداود ويونس اعتراهم في بعض المواقف شيء من هذا الخوف الطبيعي ، كما جاء في قصص القرآن الكريم : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ ، وَبَشِّرُوهُ بِسَلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات : ٢٨) ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ



يُعْقَبْ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ . (القصص: ٣١) . ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (ص: ٢٢) .

ولم نجد في القرآن الكريم ركب الأحاديث والسيرة أي إشارة إلى هذا النوع من الخوف الطبيعي، عند الرسول محمد عليه أفضل الصلوات، ما عدا بعض الضيق من إيذاء المشركين وإعراضهم عن رسالته . ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ . لا بل إن المتبع للسيرة، يجد أنه كان أشجع الفرسان قاطبة إذ وقف يواجه الموت المحقق به من كل جانب في إحدى المواقع، مع ثلاثة عشر نقرأ من الصحابة والأنصار، وهو مطمئن لقدر الله قائلًا: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» .

### الآليات والمسيات البيولوجية للخوف والتصرف السلوكي عند المخلوقات الحية

منذ عشرات السنين فقط بدأ العلماء المهتمون بوظيفة الجهاز العصبي يكتشفون أن الأفكار والعواطف والسلوكيات هي تفاعلات حيانية تسيرها عمليات فيزيولوجية عصبية وكيميائية، وأن في المخلوقات المزودة بجهاز عصبي مراكز تتحكم في الألم والخوف واللذة والغضب والحركة وغيرها من انفعالات وتصرفات، وتسمى هذه المراكز العصبية مجتمعة بالدماغ الحيواني أو النباتي . كما أنه يوجد في بعض المخلوقات الحية مراكز عصبية متطورة، تؤثر وتتأثر بالدماغ الحيواني وهي من الأهمية والتطور تبعاً لنسبة رقي المخلوقات في سلم الذكاء . هذه المراكز هي الأكثر تطوراً عند الإنسان وتسمى بالدماغ الجديد أو «الدماغ المفكر» .

على ضوء هذا الشرح المبسط لآليات الشعور والتصرف نستطيع أن نفهم الوجه العلمي في العمق للآيات الكريمة التالية التي تشرح مسببات الخوف واللذة والألم والسلوك ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ . ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾ .

فالمولى عز وعلا خلق الإنسان هلوياً وعجولاً بحكم تكوين جهازه العصبي ، أي مفرط الحساسية شعوراً وتصرفاً تجاه كل ما يحيط به من عوامل داخلية وخارجية قد تعرض ذاته وحياته للخطر ، وذلك راقية به ومحافظة على حياته . وكذلك وضع المولى نفس النظام ، نظام الدفاع عن الذات في بقية المخلوقات الحية ، ذلك أن في كل المخلوقات مراكز عضوية تتحكم في الخوف والغضب وسرعة الانفعال والهرب فتجعلها جزعة خائفة نفورة إذا مستها عوامل الأذى والشر . وفي الإنسان وبقية المخلوقات أيضاً مراكز للذة والجوع والشبع ، تجعلها ساكنة لا تهتم بما يجري حولها عندما تتأمن مقومات اللذة والشبع ، إلا أن الفرق بين الإنسان والحيوان ، هو أن الأخير مسير من خالقه ، لذلك فإن الخوف والهلع واللذة والمكون عند الحيوان هي ميزات طبيعية لا تؤذي ذاته . أما عند الإنسان فهو المخير مع الجن دون سائر المخلوقات ، فمراكز الهلع والعقيدة واللبس والهلاوة الموجودة في الدماغ الحيواني وإن لم يسيرها الدماغ المفكر العاقل الذي جعله المولى سيد النفس الإنسانية وفق تعاليم الخالق ، أصبح الإنسان عبداً لهواه وشهواته وغرائزه الموجودة في دماغه الحيواني ، فيصبح عندئذ كالأنعام بل أضل ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ نَحْسِبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان : ٤٣ - ٤٤) .

(٢) القلق والخوف المرضي :

أ - تعريفه

لا نريد أن نتوسع كي لا ندخل في مناهات التفريق الأكاديمي بين القلق المرضي ، وهو حالة شعورية من الضيق ؛ والخوف المرضي ، وهو حالة

شعورية بالضيق مصحوبة بانعكاس عضوي على وظيفة أغلب أجهزة الجسم من تارع في ضربات القلب، وضيق في التنفس، واضطراب في عمل جهاز الهضم والأعصاب والعضلات، وعملية إفراز الغدد وغيرها، فالخوف والقلق النفسي المرضي في جذورهما ومنشئهما واحد وهو الخوف من المجهول، وبدون أي سبب ظاهري منطقي معقول بالنسبة للمريض (وهذا ما يزعجه أشد الإزعاج) ولعل أبلغ وأوجز تحديد وتعريف حسي للراحة النفسية والخوف النفسي هو ما أشارت إليه الآية الكريمة التالية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

والقلق هو أكثر المظاهر شيوعاً وإزعاجاً ويشكل القاسم المشترك لكل الأمراض النفسية العصبية، وأغلب الأمراض العقلية الذهانية، واضطرابات الشخصية و ٧٠٪ من الأمراض العضوية تكون مصحوباً بالخوف أو القلق الظاهر أو المستتر.

مركز ترقية كيمياء علوم سودي

ب - أسبابه

هي في أكثر الحالات مجهولة بالنسبة للمريض، ومدفونة في أعماق نفسه، أي في اللاشعور، أي العقل الباطن. وعلماء النفس يرجعون الأمراض النفسية العصبية واضطرابات الشخصية [والقلق والخوف من أهم مظاهرها] إلى تعارض وتصادم بين عقد النفس الدفينة اللاشعورية ومعطيات الواقع التي يواجهها المريض، وإذا لم يساعد المريض على تفهم عقده ومحاولة حلها أو تهيل حلها، فكل علاج للقلق والأمراض النفسية العصبية واضطرابات الشخصية السلوكية هو وقتي أو لا يجدي. ومنفرد بحثاً خاصاً بعقد النفس الإنسانية لنبين كيف أن في الإيمان الصادق المرتكز إلى معطيات الكتاب الكريم الحل الجذري لها، دون بقية الحلول التي تطرحها مختلف المدارس التي تهتم بعلم النفس وأمراضها، والتي لم تقدم حتى الآن إلا

حلولاً مؤقتة غير شافية كما يعرف الكل من خلال إحصائيات هذه المدارس ونتائج معالجتها.

### ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾

أثبت العلم أن دماغ الإنسان وبقية أعضائه هي ضعيفة أمام متطلبات الهوى الموجودة في الدماغ الحيواني، وإن لم يُسيطر الإنسان الدماغ الحيواني مركز ومبعث الغرائز والشهوات والانفعالات وفق تعاليم الخالق، وهو أدري بما يصلحه، بواسطة الدماغ المفكر الذي زُوِّد به، أصبح هلوياً جزوياً عجولاً متنوعاً كصفات شعورية وسلوكية مرضية.

يكفي مثل بسيط لتقريب الصورة من ذهن القارئ على هذا الضعف الموجود في خلقنا، فحقنة أو جرعة أو شمة من المخدرات، تعطي اللذة المؤقتة لمراكز اللذة الموجودة في دماغ الحيواني، تكفي لأن يصبح الإنسان عبداً أمام متطلبات جسمه التي تطالب بما ينسجم مع عوارض الحاجة المادية عند المدمنين كالتعب والعرق والإصرار والقلق والخمر والتفريط وغيرها... وكذلك بالنسبة لبقية الشهوات والغرائز التي حدد لنا المولى كيفية عدم الاستسلام لها، فليفهم الإنسان إرادة الله، وقد دله على مكان ضعفه الكامنة في خلقه وبيّن له سبل الهداية والإرشاد كي لا يهوي في سبل الضلالة والمرض: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا. يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. (النساء: ٢٦ - ٢٨). وهذه السبل الواقية من الضلالة هي في الصلاة، وللصلاة كوقاية شروط يجب الإلتزام بها. وقد فصلت هذه الشروط في سورة الماعز ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلْمَسْكِينِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيْنَ

الَّذِينَ . وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ .  
 وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ  
 غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ  
 لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ  
 صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ (المعارج : ١٩ - ٣٤) .

فليلتزم الإنسان إذا أراد الشفاء من قلقه بهذه الوصفة الإلهية بعد أن  
 يفهم شروطها وليتعمها ويثابر على العمل بها، وسيجد نفسه بعد حين أنه من  
 أسعد المخلوقات . وهذا هو واقع المؤمنين الحقيقيين، والذي خبرناه  
 ووجدناه خلال ممارستنا للمعالجة النفسية !!

لذلك نحن نعتقد، من زاوية إيمانية، وبحكم التجربة الشخصية  
 المهنية، ومن خلال إخفاق تجربة المدارس النفسية التي حاولت أن تعالج  
 الهلع والخوف والذعر واضطرابات السلوك من زاوية بيولوجية أو تحليلية  
 وضعية ودون الأخذ بتعاليم السماء، أن الشفاء بصورة نهائية من الهلع  
 والجزع والخوف والآنانية واضطرابات السلوك بصورة جذرية إذا لم يلتزم  
 كل مريض عصابي بشيئين : وصفة طبية دنيوية موفوتة المفعول من أهل  
 الاختصاص في الأمراض النفسية، ووصفة روحية إيمانية من خالقه هي  
 الالتزام بتعاليم المولى وهي وصفة جذرية الشفاء مصداقاً لقوله تعالى :  
 ﴿ فَمَنْ تَبَعَ هَٰذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨) .



الهلج والجزع والفرع والرعب الطيبي تختصره هذه الصورة المعبرة بما لا  
تستطيع كتب علم النفس أن تقولها بالكلمات

## الفصل الثالث

### الموت وعقده

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ فَلَا مَانِعَ لِمَا كُنْتَ بِشَيْءٍ  
تَحِيدُ »

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي (ق: ١٩)

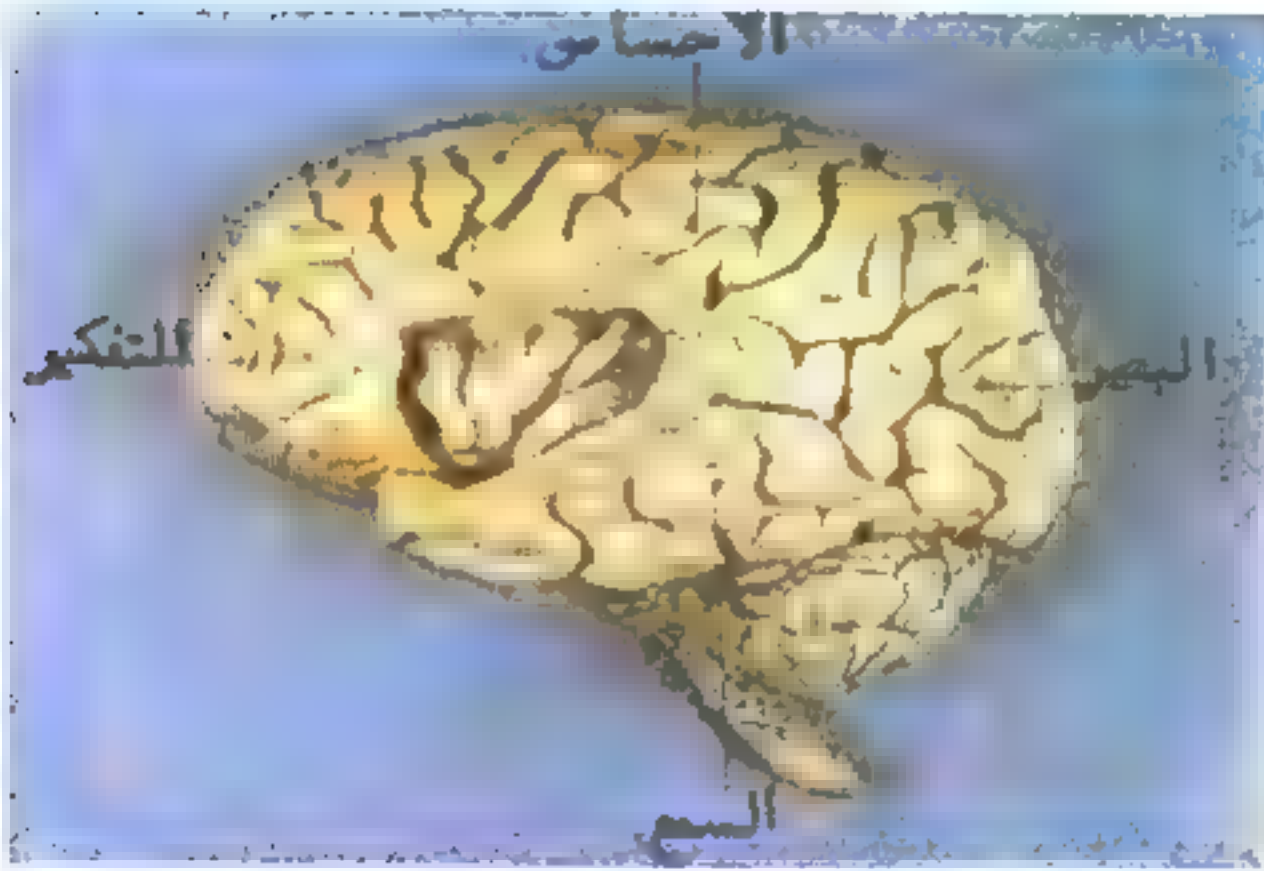
« وما ترددت في شيء أنا فاعله، ما ترددت في قبض  
نفس عبدي المؤمن . يكره الموت وأكره مساءته ولا بد  
له منه » .

(حدث غديسي رواء الطبراني والبيهقي)

« لا تستقر هذه المدينة إلا إذا رجعت إلى تعاليم  
محمّد » .

« برنارد شو »

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْسَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ  
سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾



صورة جانبية للدماغ المفكر حيث مراكز السمع والبصر والفكر وغيرها وقد  
جعله المولى سيداً على الدماغ الحيواني وإلا أصبح عبداً له .



## ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ . وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾

خلافاً للعلوم المادية التي لا جدال في قواعدها بين العلماء ، كالفيزياء والكيمياء والفلك والطب وغيرها ، فإن علم النفس من العلوم الإنسانية ، التي يختلف في تحليل ظواهرها ومسياتها علماء النفس ، وإن كانت ألياتها قد بدأت تدخل في حقل العلوم المادية (الكيمياء العصبية) . وعندما تختلف الآراء وتتشعب الطروحات ، ما على الباحث العاقل إلا اللجوء إلى كلمة الفصل في صحة كل العلوم ، سواء كانت مادية أو إنسانية : القرآن الكريم ، ففيه يجد أعمق وأبلغ وأوجز وأصح تحليل للنفس الإنسانية في تركيبها الطبيعي وما فطرت عليه ، والأسباب التي تُشقيها ، والظواهر الطبيعية والمرضية التي تنتابها والسبل الموصلة لما تنشده من سعادة ، وأخيراً الدواء الشافي لما تعانيه من أمراض .

### ١ - تعريف بالعقد النفسية

منذ أواسط القرن العشرين كشف العلم ولا يزال أن في الدماغ مراكز تتحكم بمختلف انفعالات وتصرفات الإنسان الشعورية والسلوكية ، كمراكز الخوف والذعر والغضب والطمأنينة واللذة وغيرها ، وكلها تتحكم أليات ما يسمى بغرائز حفظ الذات ، كالخوف من الموت ومسياته والهرب من الألم والسعي وراء اللذة

والراحة الجسدية والمحافظة على النوع من خلال الحاجة الجنسية، وحب التملك وغيرهما من حاجات حيائية رئيسية .

هذه المراكز الدماغية التي تحكم التصرف الإنساني البيولوجي وتؤمن بقاءه والمحافظة على نوعه، هي ضرورة وضعها المولى في كل مخلوق حي، إلا أنها في الإنسان، وهو المخير دون سائر المخلوقات، قد تجمع به إلى أن يصبح عبداً لها وأسيراً لمتطلباتها فتصبح عقداً نفسية بالمعنى المرضي، إذا لم يسيّرهما الدماغ المفكر في الإنسان، وسيطر عليها حسب أوامر من هو أعلم العالمين به الخالق عزّ وعلا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج : ١٩ - ٢٢) .

وهكذا يتضح لنا أن ما يسمونه بالعقد النفسية، ما هو إلا نتيجة «جنوح» غرائز حفظ الذات الطبيعية بالإنسان لجنوحاً مرضياً إذا تخلّى عن فهم تعاليم السماء التي تنظمها وتجعلها سوية، كما نظمها وجمعها سوية عند الحيوان فتتحول حينئذ غريزة المحافظة على الحياة إلى عقد الموت وعقدة حب الخلود، وما يتفنع وراءها؛ ويتحول التفتيش عن اللذة والهروب من الألم إلى عقد الحرص والعقد الجنسية؛ ويتحول شعور الإنسان الطبيعي بضعفه إلى عقد النقص والحرمان والتعالي والكبرياء وعقدة العجل والتسرع .

ونحب أن نسمي هذه العقد النفسية التي تنفص على الإنسان حياته وتمنعه من تحقيق سعادته بـ «العقبات النفسية» . وقد أشارت إليها بصورة جامعة الآيات الكريمة التالية : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقَرَبَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُحِيمَةِ ﴾ (البلد : ١١ - ١٨) .

فإذا أراد الإنسان أن يكون من أصحاب «الميمنة» فعليه «اقتحام» عقبات نفسه، وجهاد النفس وهو من أكبر وأصعب أنواع الجهاد، وهذا الاقتحام لعقبات النفس وعقدتها يكون بمجاهدة واقتحام عقد التملك والحرص والبخل بأن يفك الرقاب المعوزة، واقتحام عقد الموت، وحب الخلود يكون بالإيمان بالبعث واليوم الآخر. واقتحام عقد اللهفة والحرقة في الطلب يكون بالصبر. ومحو عقد النقص والحرمان يكون بالرحمة والتواصي بها.

### وقفة تحليلية نفسية مع سورة الضحى

الم يجنب العولى رسوله الكريم عقدة الموت بقوله تعالى ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾. وجنبه عقدة الحرمان العاطفي الناشئ عن اليتيم بأن آواه ففيض له جده ثم عمه أبا طالب الذي أعطاه الأمان والسند العاطفي والمادي ضد أذى المشركين ﴿أَلَمْ يَجْعَلْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾. إلى أن قصت الحكمة الإلهية بلغائه عن هذا العوز الأرضي في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

الم يجنب المولى رسوله الكريم عقدة النقص المتأتية من الجهل، فعلمه الحكمة، وأنزل عليه القرآن الكريم ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. ثم ألم يجنبه أيضاً عقد النقص والشح المتأتية من الفقر بأن أغناه ومنع عنه العوز المادي فزوجه بأم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام وقد كانت غنية محبة: ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغْنَى﴾.

وكذلك يجب أن نفعل مع أنفسنا وأولادنا والغير، إن أردنا أن نجنب النفس الإنسانية عقد النقص والحرمان المادي والعاطفي وما ينتج عنها من عقد النقص أو التمويض كمقد إبداء الذات والغير، وعقد التعالي والكبرياء،

وعقد الشح والبخل ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

وسنفصل كل عقدة من هذه العقد ومظاهرها وسبل شفاؤها حسب أهميتها  
تباعاً .

## ٢ - عقد الموت

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

إن فكرة الموت هي في ضمير وشعور وتفكير وتصرف كل منا سواء كان ذلك  
بصورة واعية، أو غير واعية . هي كذلك منذ الولادة وحتى إسلام الروح . ولقد  
أشارت الآية الكريمة التالية إلى عقدة الموت عند الإنسان ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ  
بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

فكل مخلوق حي ، يفعل آليات تكوينه ، أو ما يسمونه بفرائز حفظ  
الذات والدفاع عن الحياة ، يحيد من الموت ويكرهه بل ويفر منه ﴿ قُلْ إِنَّ  
الْمَوْتَ الَّذِي تَتَّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ (الجمعة : ٨) .

وما لم يجد الإنسان حلاً منطقياً عقلياً لفكرة الموت ، فإنها ستتحول  
وتتجذر في أعماق شعوره إلى عقدة مرضية ، هي من أهم وأصعب العقد  
النفسية المسيطرة على انفعالاته وتصرفاته ، والمصدر الأول لأكثر العوارض  
النفسية المعصابية والذهانية واضطرابات الشخصية وفي طبيعتها القلق  
والخوف المرضي .

ولقد حاولت جميع المدارس الفكرية ، من فلسفية واجتماعية ونفسية  
تحليلية أن تفتش عن حل لعقد الإنسان : سبب مرضه وتعاسته ، وتجاهلت ،  
ربما عن قصد ، عقدة الموت الكامنة في أعماق كل منا ، لأنه ليس لديها

بالتأكيد أي حل منطقي لها. ومستبين من خلال دراستنا القرآنية لعقد الموت كيف أعطى الإسلام حلاً منطقيًا عقلانيًا لها، وكذلك لبقية العقد النفسية.

### ٣ - العقد المتفرعة من عقدة الموت

أ - عقدة قصر العمر: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْخَضٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾. (البقرة: ٩٦).

إن أصعب وأهم عقدة من العقد التي تفرع عن عقدة الموت الأم هي عقدة قصر العمر، ولا يخفى هذه العقدة إلا الاعتقاد الإيماني بأن العمر هو من قدر الله، هو واحد، لا تبديل فيه، خلافاً لبقية ما قدر المولى من أمور غيبية قد تطرأ على الإنسان وقد يبدل الله فيها ويغير حسب ما يشاء وتبعاً لإيمان المكلف وعمله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾. (آل عمران: ١٤٥) أي كتاباً مؤقتاً فالعمر في هذه الدنيا هو مدة زمنية محددة بتوقيت معين مكتوب هو الأجل ولا تبديل فيها. ونتيجة لعقدة الخوف من قصر العمر نرى نهافت أكثر الناس على متاع الحياة الدنيا ومحاولة الغنى من أقصر طريق، والارتقاء في أحضان الموبقات، وكل ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى. ومن خلال عقدة قصر العمر يعتقد أكثر المرضى وبعض الأطباء أن الطب يستطيع أن يطيل أجل الإنسان. وكم أسمعها يوماً وتكراراً من بعض الأطباء أن هذا المريض أنقذناه من موت محتم وأعطيناه عمراً جديداً، وهذا مريض سيموت حتماً في خلال ساعات أو أشهر، ومن الأفضل لراحة الإنسان أن يؤمن كل فرد ينشد الطمأنينة والسكينة بأن الله وحده هو الذي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، وأنه ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر: ١١)، وأنه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ ولا يصل الإنسان إلى إيمان ويقين كهذا إلا بعد دراسة كل آية من آيات الله

دراسة علمية منهجية من خلال تربية إسلامية تبدأ في البيت وفي المدرسة وطيلة سني حياته .

والواقع يثبت كل يوم صدق ذلك . فكم من مريض حكم بعض الأطباء بقرب موته بل وحلدوا توقيته ، وجاء الواقع يكذبهم ويدعوهم إلى التواضع والإيمان بالله الذي اختص بنفسه فقط معرفة طول أو قصر الأجل ومدة انقضائها ولحظة وقوعها : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْلِمُونَ ﴾ (النحل : ٦١) ﴿ وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان : ٣٤) .

ولعل أكثر الاحصاءات الطبية تناقضاً تلك التي نقرأها في المنشورات الطبية من أن هذا الدواء أو هذه الطريقة العلاجية تطيل عمر الإنسان .

يجب أن يوقن الأطباء والعرضى أن الطب لا يشفي الإنسان من الموت ، ولا يبدل في الأجل المحتوم ، فالطبيب هو لتحسين نوعية الحياة ، وتخفيف الآلام ، وشفاء العلل حتى انقضاء العمر ومجيء الأجل المحتوم الذي هو بعلم علام الغيوب فقط : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الواقعة : ٨٣ - ٨٧) لن يرجع الطب الروح إلى الجسد ، والله فقط يطيل العمر وينقصه ، ولقد كتب المولى طول العمر وقصره منذ تخلق الجنين في رحم أمه ، ثم لا يبدل فيه بعد ذلك .

يجب أن يعرف ويوقن الكل أن الموت مخلوق في قدر الله ﴿ أَلَيْسَ خَلْقَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ و ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ .

ولو فهم أكثر الناس والتزموا بما أمر به المولى وعقلوا معنى الحياة

والموت وأيقنوا بالحياة بعد الموت لتخلصوا من أكثر مظاهر وأعراض أمراضهم النفسية والعضوية ولدخل شيء من السكينة في قلوبهم أمام كل خطر داهم يهدد حياتهم ووجودهم .

ب - عقدة عذاب الموت : خلال محاوراتنا النفسية بحكم المهنة وجدنا أن كثيراً من الناس يصرحون لنا بأنهم لا يخافون الموت بعد ذاته ، ولكن ما يربعهم وينغص عليهم طمأنينة بالهم هو العذاب الذي يسبقه ويصاحبه قبل وحين حصوله ، وهذا الخوف والرعب الذي لمساء عند المرضى والأصحاء على حد سواء لا سبيل إلى تخفيفه والقضاء عليه إلا باليقين الإيماني بعدالة ورحمة وغفران الباري لمن يشاء من خلقه . نعم هناك عذاب يصاحب الموت ويسبقه ولكن للظالمين والمجرمين من الناس : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الْإِنسَانِ الْيَقِينُ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام : ٩٣) ، أما المؤمنون من عباده ، فلقد وعدهم بأن موتهم سواء أكان موت الجسد أم الروح فإنه مختلف تماماً عن موت الظالمين إذ لا عذاب بموتة الجسد أو الروح : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية : ٢١) ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٨٨ - ٩١) .

إن المؤمن الموقن بالله والذي يجب أن يعرف ويدرس بل ويحفظ هذه الآيات لا مجال لأن تتحكم به عقدة عذاب الموت التي لا تخفيف لها ولا شفاء منها إلا بالإيمان .

ج - عقدة ما بعد الموت أو خوف القبر وما يشله : إن عصاب الخوف من الأماكن المقفلة التي لا يستطيع المريض السيطرة عليها والهروب منها

كركوب الطائرة والمصاعد والقطارات والغرف المقفلة ودخول الدهاليز والأقبية المظلمة، هو في جذوره خوف من الموت ومن القبر بالذات، هذا المكان الضيق الذي لا سبيل للخروج منه، وهذه الفكرة من أن كلاً منا سيدفن في يوم من الأيام في مكان ضيق مظلم لا سبيل للخروج منه، هي فكرة موجودة في شعور كل إنسان عاقل، منذ أن وعى معنى الموت. ويصاحبها شعوراً أو لا شعوراً كثيراً من التخيلات المزعجة خاصة فكرة عودة الحياة إلى الميت في القبر. ويحاول كل منا أن يمحو هذه التخيلات والأفكار المزعجة بنبشها ودفنها في أعماق اللاشعور، إلا أنها عند البعض وتحت تأثير أحداث متصلة بالموت تعود إلى الظهور وتشكل أعراضاً عصابية كظاهرة الخوف بدون سبب معقول إلى أن يتبلور ويشتر هذا الخوف تحت عصاب الخوف من الأماكن المقفلة، والذي هو في الحقيقة محاولة يحاول فيها الإنسان التخلص من عقدة الموت وعقدة الخوف من القبر بالذات.

ليخضعوا المريض العصابي بمرز الخوف من الأماكن المقفلة للتحليل النفسي على طريقة فرويد، أو غيره، (وفرويد كان مصاباً بهذا العصاب ولا ندري لماذا لم يشفي نفسه منه لا سيما وأنه واضح أسس التحليل النفسي!!؟) وليعطوه ما شاؤوا من المسكنات وما أكثرها، وليهللوا ما شاؤوا للنتائج الإيجابية الشفائية! حسب آخر إحصاءاتهم لأخر طريقة نفسية علاجية طلعوا بها وهي معالجة عصاب الخوف من الأشياء بمواجهة المريض تدريجياً بما يخيفه، فكل هذه الوسائل العلاجية هي وقتية، إذ لا يشفي من عقدة خوف الموت وخوف القبر إلا الإيمان اليقيني بوجود حياة أفضل للمؤمن وأن الله هو ولي المؤمنين في حياتهم ومماتهم وما بعد مماتهم. وهو كما وعد لا يخلف وعده، وكيف يمكن لقلب مؤمن أن يخاف من الموت وعقده وقد عقل معنى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بمعاني الموت وماذا يحصل عند الموت وبعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا



تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ (فصلت : ٣٠)  
﴿فَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ  
أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٨٨﴾ (الواقعة : ٨٨ - ٩٠)  
«إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (حديث شريف رواه  
الترمذي).

إن المؤمن يشر بالجنة عند موته بل ومنذ احتضاره، فإذا هو مطمئن  
البال، قدير العين، يواجه أصعب الأمراض وقت موته بقلب مطمئن ووجه  
وابسامة مشرقة، فلقد بدأت الحجب تسقط أمام عينه، وملائكة الرحمة  
وغيب ربه أصبح حقيقة يقينية أمام بصره وقت الاحتضار، وأصحاب اليمين  
من معارفه وأقربائه والملائكة يطعمونه بحسن الحاب.

٥ - عقدة خوف المرض، الوسواس المرضي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي  
يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾


هي من أكثر العقد شيوعاً فهي تمثل الظاهرة المقتنعة لعقدة خوف الموت  
من خلال المرض، ولقد لمت طيلة ممارستي المهنة، كثرة عدد المرضى  
المصابين بهذه العقدة وهي الأصعب والأزعج بالنسبة للمريض والطبيب على  
حد سواء، فما أكثر المرضى الذين يطرقون عيادات الأطباء مراراً وتكراراً،  
ويصرون على دخول المستشفيات، لعوارض بسيطة برأي أكثر الأطباء، ولا  
أجدها كذلك، فهي أعراض ظاهرية طبية بسيطة في مظهرها بالنسبة للطبيب  
غير المختص، أما في جذورها فتتجمع في أغلب الحالات إلى خوف المرض  
والموت المتكرر وراؤه. وما إن يطمن المريض إلى أن ما يشكوه ليس له  
علاقة بمرض خطير (هو بنظر العامة السرطان أو الأمراض القلبية والشلل)  
حتى يشفى ولو بدون دواء أو بأي دواء ذي فائدة وهمية بنظرنا نحن الأطباء،  
فأكثر المرضى وخاصة العصائين عندما يطرق أحدهم باب عيادة الطبيب يريد  
أولاً، شعورياً أو لا شعورياً، أن يطمن على ذاته من خطر الموت قبل أن

يسأل عن العلاج، وكلنا يعلم كم من المرضى العصبيين وتحت ظواهر نفسية مختلفة، يدخلون المستشفى وهم في أشد الحالات المرضية النفسية العصبية، وبعد بضع دقائق أو ساعات وقليل من المصل أو حقنة مهدئة، وفحوصات مخبرية وشعاعية مطمئنة، يشفون، ولكن لبعض الوقت. إنه الخوف من الموت، والطبيب والمستشفى هما الشفاء من الموت باعتقادهم والحقيقة أن الطب يخفف الألم ويشفي من بعض العلل، ولكن لم ولن يمنع الموت.

عشرات المرضى من هذه النوعية، ندعوهم بالموسوسين. يطرقون أبواب الأطباء والمشعوذين الروحانيين، متأبطين أكداً من الصور الشعاعية والتحليل المخبرية، عارضين العشرات من الأدوية والوصفات السطوية والتقارير الاستشفائية معذِّبين ومعذِّبين لأهلهم ومحيطهم الأسري، كلما اختفت أعراض مرضية وظيفية من عضولهم وجسدهم، ظهرت أعراض في موضع آخر. هؤلاء الموسوسون هم في الحقيقة يهربون من عقد خوف الموت المتأججة عندهم، ولا شفاء لهم ولا أمل من خلال معالجة نفسية تحليلية مرتكزة ومستندة إلى معطيات الإيمان الصحيح. إنهم أصعب المرضى معالجة بل هم «كأبوس الأطباء» ومصدر ابتزاز من قبل بعض الأطباء ممن لا يلزمه ضمير مهني أو وازع إيماني!!

هـ - عقدة عدم الاعتقاد بالموت أو عقدة حب الخلود أو عقدة الخطيئة الأولى: إن عقدة حب الخلود (وهي الوجه المقابل لنفس العقدة: عقدة خوف الموت) هي من الطرق التي يحاول الإنسان غير المؤمن أن يسلكها للهروب من الموت، محاولاً بذلك شعورياً أو لا شعورياً تجنب وطمس كل شيء يذكره بالموت، فينعكس ذلك مرضياً على تصرفاته، فنراه يجمع الثروات ويكسب الأموال ويفترق المظالم ويتشبث يائساً بالدنيا وكأنه سيبقى فيها أبداً.

وعقدة حب الخلود هي النافذة التي من خلالها نفذ الشيطان إلى نفسية سيدنا آدم وزوجه، فأغراهما بالمعصية وأطاعاه، رغم أن المولى أعطى آدم كل أسباب السعادة في الجنة الأرضية التي كان فيها إلا الخلود ﴿إِنَّ لَكَ الْآخِرَةَ تَجَوَّعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى. فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَغَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١١٨ - ١٢١).

إن التخلص من عقدة حب الخلود، ونحب تسميتها بعقدة والخطيئة الأولى، لا يكون بالهروب اللاهث من الموت كمن يهرب من ظله بل بالاعتقاد اليقيني بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ﴿وَلَا خَيْرَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْآوَلَى﴾ فالموت بالنسبة للمؤمن هو نومة كبرى وانتقال من حياة دنيا، هي حياة تكليف واختبار، وبلوغ إلى حياة فضلى خالدة. وما الدعاء الشائع اليوم: أطال الله عمره، إلا انعكاس دفاعي نفسي لتخفيف وقع الموت في نفس الإنسان.  أما المسلمون الأوائل الذين عقلوا معنى الموت فكانت سببة بالنسبة لبعضهم أن تمت أحدهم بطويل الأمل في الحياة.

ولا يستطيع الإنسان أن يمحو هذه التصورات المتجذرة في أعماق شعوره عن الموت وعقده إلا من خلال التسليم اليقيني بالآيات الكريمة المتعلقة بمعاني الموت وما يمثله، ولا يمكن للإنسان أن يسلم عقلياً بهذه الآيات إلا إذا اقتنع عقله علمياً بأن كل ما جاء في القرآن الكريم هو كلام الخالق، ولا شيء يستطيع أن يقنع عقل الإنسان بكلام الله وخاصة إنسان اليوم، إلا العلم، وفي القرآن الكريم مئات الآيات العلمية التي سبقت العلم بقرون والتي جاء العلم بطايطىء الرأس أمامها ويسلم بأنها حقاً من عند الله.

من وجهة نظرنا نحن نرى أن لا شيء يجعل الإنسان يؤمن إيماناً ثابتاً إلا بما يقنع به عقله، ومتى اقتنع عقله، خشم قلبه والتزمت جوارحه وتخلصت

نفسه من عقدها، وكل ما نحاوله من خلال كتاباتنا في مواضيع «بين القرآن الكريم والعلم» هو أن نقدم لعقل الإنسان المفكر البرهان الذي لا جدال فيه بأن القرآن الكريم هو من وجهة علمية وعقلانية ومنطقية بحثة كلام الله الذي لا ريب فيه، لذلك يجب أن يقتنع ويلتزم بكل ما جاء فيه، وليس ببعضه، إذ لا يعقل أن يقول الإنسان صدق الله العظيم وهو يرى اليوم كيف يؤيد العلم مضامين ما أنبأت به مئات الآيات الكريمة في العلوم المادية ويطرح بقية الآيات التي ذكرناها أعلاه ولا يعتقد بها، ومن يفعل ذلك فهو مصاب بازدواجية المنطق والتفكير، والحوار مع من هو مصاب بازدواجية المنطق والتفكير، أي منقسم الشخصية، مضیعة للوقت.

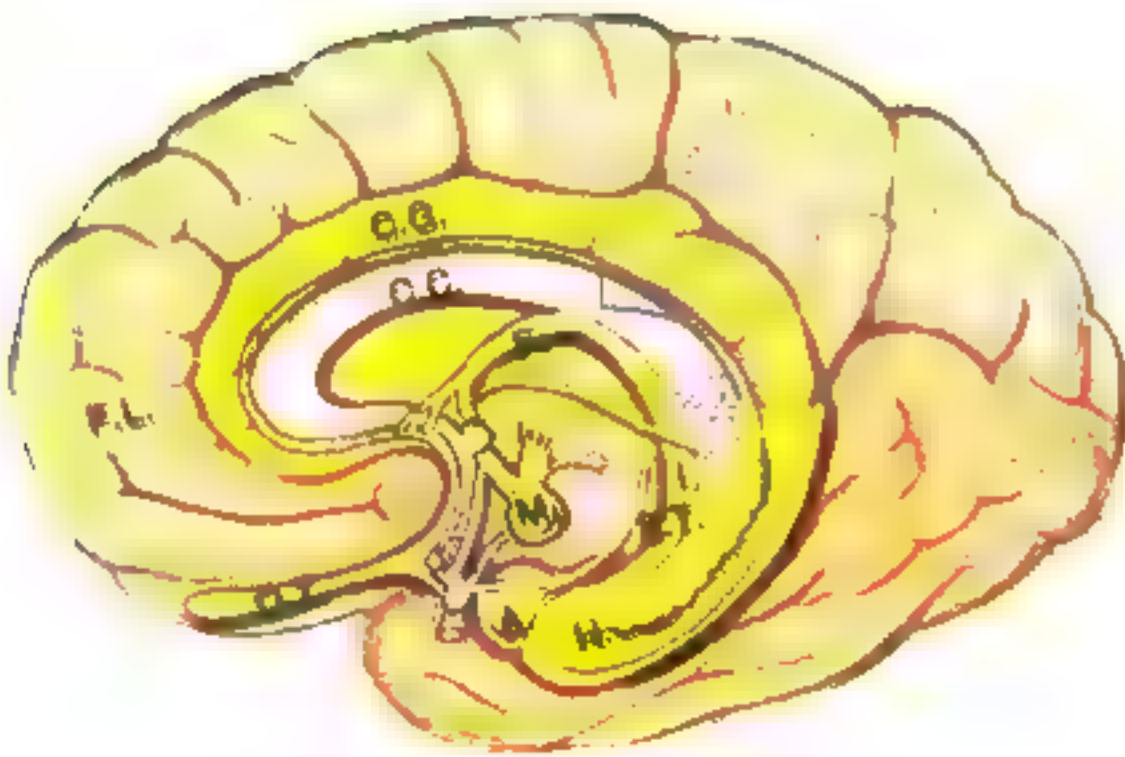
لقد أعطى الإسلام بصورة علمية وواقعية عملية من خلال القرآن الكريم والحديث والسيرة الشريفة الحل العقلي المنطقي، لكل المقد النفسية وفي طلبعتها عقدة الموت كما أثبت أواقع التاريخي ذلك، إذ لولا شفاء الإنسان المسلم المؤمن من عقدة الموت وبقيته عقده، لما استطاع المسلمون في خلال عشرات السنين أن يفتحوا أوركايا الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ويصلوا بفتوحاتهم إلى السند شرقاً وفرنسا غرباً. وهي فتوحات قامت على أساس التعاليم السعادية التي جاء بها الإسلام، وليس السيف كما يدعي المغرضون، فالتاريخ لم يعرف فاتحاً أرحم من المسلمين كما قال المنصفون من المؤرخين الغربيين.

ولن تقوم قائمة لهذه الأمة المسلمة، أمة المليار فرد من حملة الهوية الإسلامية وهي اليوم في عداد الأمم المتأخرة، وقد تداعت عليها الأمم «تداعي الأكلة إلى قصعتها» إلا عندما ننشئ الإنسان المسلم من جديد، تنشئة إسلامية منهجية علمية صحيحة، فنمحو بذلك عقدة الموت، وبقيّة العقدة ونسموه إلى عقيدة حب الجهاد، وهي التقيض لعقدة الموت، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا كل موقن بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِنُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿١٧٠﴾ (محمد: ٤ - ٦) .



﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا  
مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾



رسم توضيحي للدماغ الحيواني (باللون الأصفر) مركز ومصدر الانفعالات  
الشعورية والتصرفات السلوكية : الغضب، الانفعال، التصرف، اللذة، الجور  
والمسكينة . . . (مقطع جانبي : منظر داخلي)

## الفصل الرابع

### العقد النفسية :

### عقد الدرعان، الدرهم، النقص والتعالي، العقد الجنسية

﴿ رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ  
وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ  
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَشِ ۚ وَالْخَيْرُ مِمَّا يَشْتَاكُونَ ۚ  
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حِزْنُ الْمَاتِ ﴾

مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی  
(ال عمران : ١٤)

« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع  
ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع . . . »

(من دعاء الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام)

ومن أراد غير الآخرة وحكم الدنيا وعدل السيرة  
والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق  
الفضائل بأسرها، فليقتدِ بمحمد رسول الله ويستعمل  
أخلاقه وسيرته ما أمكنه .

(ابن حزم)

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ  
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾



كل كتب علم النفس وأبلغ الأفلام لا تستطيع أن تقول بالكلمة ما تعبر عنه هذه  
الصورة من مشاعر الإنسان الطبيعية وهو يواجه الموت وجهاً لوجه



## ١ - العقد النفسية

عقباتها، شهواتها، أهواؤها، الطامهات النفسية، الأرباب

تعريف مبسط جداً بالعقد النفسية

١٨ - مشؤها: لكل مخلوق حي حاجات رئيسية هي ضرورة حيائية لتأمين وجوده وتوفير سعادته، وتمكين استمراره نوعه نسميها مع التحفظ بالفرائض وهي أربع:

غريزة حب الحياة والمحافظة عليها، وحاجة أو غريزة حب التملك، والحاجة أو الغريزة الجنسية، وحاجة الحنان والعطف المتأتبة من إحساس فطري بالضعف.

والعقد النفسية الأساسية تنشأ من انحراف حاجات أو غرائز النفس الإنسانية الأساسية هذه نحو الفقدان أو المخالاة بفعل التربية البيئية والمدرسية الخاطئة أو العوامل الاجتماعية الظالمة.

فمن غريزة الدفاع عن الذات أو حب الحياة والبقاء، وبفعل الظروف الاجتماعية القاهرة أو التربية البيئية والمدرسية الخاطئة، تنشأ عقد خوف الموت وما يتفرع عنها من عقد: كمعقدة قصر العمر ومعقدة عذاب القبر ومعقدة الخلود، وعقد خوف الأمراض، ومعقدة التعلق المرضي بالولد.

ومن غريزة حب التملك، وبفعل التربية البيتية والمدرسية الخاطئة أو الظروف الاجتماعية الظالمة تنشأ عقدة الشح، وعقدة هم المستقبل، وخوف المستقبل، وعقد النقص، وعقد إيذاء الغير، وعقد السلطة وحب السلطان، وبعض العقد الجنسية. وقد تتحول هذه العقد إلى نقيضها كمعقدة الإسراف والتبذير.

ومن الإحساس الفطري بضعف الذات وحاجة كل نفس للحنان والعطف، وبفعل التربية البيتية والمدرسية والظروف الاجتماعية تنشأ عقد النقص وخوف الغير وعقد إيذاء الذات والغير وبعض العقد الجنسية.

ومن الحاجة أو الغريزة الجنسية وبفعل التربية البيتية والمدرسية والمفاهيم الاجتماعية الخاطئة تنشأ العقد والانحرافات الجنسية.

بالإضافة إلى هذه الحاجات النفسية هناك الكثير من الرغبات النفسية الفزيولوجية التي قد تتحول إلى عقد نفسية فرعية عندما تجنح النفس الإنسانية بصاحبها إلى التعلق والمغلااة في طلبها.

والعقد النفسية لا وجود لها إلا عند الإنسان وهو المخير دون سائر المخلوقات التي يسيرها خالقها، لذلك هي سوية في تصرفاتها السلوكية وسعيدة بتصرفاتها وأحاسيسها شرط أن لا تتدخل يد الإنسان المفسد في نمط سلوكها ومعيشتها.

ولقد درجت العادة أن يسمي علماء النفس مصادر ومسيبات الانفعالات الشعورية والتصرفات السلوكية المرضية بالعقد النفسية، ولقد رمزت آيات الكتاب الكريم إلى هذه العقد النفسية بالعقبات والطاغوت، والشهوات، والأهواء، والأرباب، وفقاً لما تير لنا فهمه من خلال محاولتنا المتواضعة لاستنباط ما أمكننا استنباطه، وهو النزر اليسير جداً لمبادئ علم النفس من خلال كتاب الله الكريم: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا

أَذْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ . فَكُ رَقَبَةً . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ  
مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا  
بِالْمَرْحَمَةِ ﴿ (البلد : ١١ - ١٧) والعقبة هنا تعني العقدة النفسية . والإشارة  
واضحة إلى عقبة الشح أي البخل .

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران : ١٤) .

هنا الشهوات تعني العقد النفسية أيضاً ، وذلك عندما تجنح الشهوة  
بالإنسان نحو المخالاة . والإشارة واضحة إلى العقد الجنسية وعقد الشح  
والسلطة وحب التملك .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ  
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾  
(الجاثية : ٢٣) والإشارة إجمالية إلى كل العقد .

﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا  
تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص : ٢٦) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
الْمَأْوَى ﴾ (النازعات : ٤٠) والواضح هنا أن كلمة هوى تعني أيضاً عقداً  
نفسية .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣١)  
والأرباب تعني عقداً نفسية .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾  
(النساء : ٦٠) .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ . . . ﴾ (النساء : ٧٦) .

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾  
(البقرة: ٢٥٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦٠ - ٦١) وتعرف الطَّاغُوت بأنه كل شيء يجعل من النفس سيداً على العقل . والعقد النفسية ما هي إلا طغيان الأهواء والمخاوف النفسية على العقل وسيطرتها عليه . ونحن نرى أن كثيراً من العقبات النفسية هي شعورية أي معروفة من أصحابها، وليس كما يدعي بعض المحللين النفسيين من أتباع مدرسة فرويد أنها لاشعورية ، أي مجهولة ومدفونة في أعماق النفس الإنسانية ؛ ولكن حب المكابرة والتعالي عن الحقيقة يمنع أكثر الناس من الرؤية الصافية في أعماق أنفسهم ليفهموا مسببات تعاستهم ونقصاتهم وكلها وليدة ما كسبت أيديهم .

٢ - مسباتها : إن فقدان الوعي ~~على~~ <sup>بمهم</sup> المعرفة بأسس التربية البيئية والمدرسية السليمة المبنية على مبادئ أخلاقية صحيحة مستمدة من تعاليم السماء الحقة ، السبب الرئيسي لنشوء وتجذر العقد النفسية عند الناشئة . وفي الإسلام نجد الأسس السليمة الواجب أن يعتمد عليها الآباء والمربون إذا أرادوا أن يتخلصوا هم أولاً من عقدهم النفسية ، ويجنبوا أولادهم والناشئة أخطار الانزلاق في مهاوي العقد النفسية ، كما سنفصله تباعاً مع دراستنا لكل عقدة من العقد النفسية على حدة .

وبرأينا أن الانظمة الوضعية قد عجزت عن إيجاد الحل الشافي لهذه الحاجات الرئيسية الأربع دون طغيان أو كبت إلا النظام السماوي الذي جاء به الإسلام . ونحن نتحدى أي مناقشة علمية هادئة تستطيع أن تؤكد أن الانظمة التربوية والاجتماعية التي تعمل بها الأمم جميعها والتي لا تستمد تعاليمها من

الإسلام قد أمنت لأفرادها السعادة الحقيقية .

٣ - آلياتها ومظاهرها : هناك آليات تحاول النفس أن تتخلص بواسطتها من عقباتها ، وقد تنجح النفس في ذلك فيسمى ذلك بالتسامي ، وقد تفشل في ذلك فتتعمق العقبات النفسية تحت ظواهر وعوارض مرضية لا تخفى على مختص إذ تتحول العقدة إلى نقيضها من خلال ما نسميه بعملية التعويض ، كتحويل عقد الحرمان المادي إلى عقدة الجشع والطمع والبخل ، وعقدة الضعف إلى عقدة الكبرياء والتعالي ، وعقدة الحرمان العاطفي إلى عقدة حب الأيذاء والشراسة والتعالي . وفي أكثر الأحيان تتداخل العقد النفسية مع بعضها فتتجذر العقدة ونقيضها في النفس الواحدة ، وهذا ما نسميه بازدياد واحة الشعور والتصرف وما أكثرها عند أغلب الناس المرضى والأصحاء ، إلا أن الفرق بين المريض والصحيح هو في درجة الشدة والمغالاة والازعاج الذي تسببه هذه العوارض عند الأول منهم

وبرأينا أن الناس كل الناس هم مرضى نفسيون وإن اختلفت درجة المرض عندهم ، إن لم يتبعوا قولاً وعقلاً ~~المتكلم~~ الحكاوية الحققة التي أنزلت على الأنبياء والرسل . فمقياس الصحة النفسية المتعارف عليه عالمياً بين علماء النفس هو درجة سعادة الفرد وطمأننته وسكنته . والإنسانية كانت ولا تزال قلقة وتعيبة حسب كل الإحصاءات ، ولا يستثنى من ذلك واستناداً إلى الواقع والإحصاءات إلا القلة ممن فهم والتزم بتعاليم السماء الحققة ، وبقدر ما يلتزم الفرد بتعاليم السماء الحققة (أي التي لا تتعارض مع كل منطق وعقل وعلم صحيح هي تعاليم الإسلام) يطمئن ويسعد . وبقدر ما يتعد عنها يقلق ويشقى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ ﴿ فَمَنْ يُّؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ .

ولقد حذر الرسول الكريم الناس من عقبات أنفسهم وعقدها في ما

روي عنه قوله :

- «بشّ العبدُ عبدٌ تخيلَ واختالَ ونسيَ الكبيرَ المُتعال» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ تجبرَ واعتدى ونسيَ الجبارَ الأعلى» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ سها ولها ونسيَ المقابرَ والبلى» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ عتا ونسيَ المبتدا والمُنتهى» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ يخيّلُ الدنيا بالدين» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ طمعَ بقوة» ، بشّ العبدُ عبدٌ هوى يُضِلُّه» .
- «بشّ العبدُ عبدٌ رغبَ يُزِلُّه» . (رواه الطبراني والترمذي)

## ٢ - عقد الحرمان ، والحرص ، والنقص والتعالي

### ١ - عقدة الحرمان العاطفي :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .  
﴿ فَأَمَّا النِّيمَ فَلَا تَغْفِرَ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ هذا ما أمرنا به المولى كي لا  
تتأصل عقدة الحرمان في النفوس

فكل مخلوق حي هو بحاجة لدفقة من حنان وحب ورعاية ، من الضروري والمفروض أن يؤمنها له والداه أولاً وأقرباؤه ثانياً وإخوانه من المؤمنين في الدين ثالثاً ، فالمحبة والعطف والكلمة الطيبة هي من الضرورات الأساسية لحسن نمو واتزان الشخصية ، ليس على الصعيد الشعوري والسلوكي فقط ، بل والجسدي في أكثر الأحيان . لذلك نرى أن الإسلام من خلال القرآن والحديث وسيرة الرسول الكريم قد شدد على ضرورة المحبة والعاطفة الصادقة والأخلاق السميحة في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، وأعطى الرسول الكريم المثل الأعلى على ذلك من خلال حياته الشخصية ، فسيرته كلها تتصف بالمحبة والعطف والرفق بكل مخلوق من مخلوقات الله .

والحيوان والنبات بحاجة للحنان والرعاية المادية والنفسية، وليس الإنسان وحده، وهذا شيء يعرفه أكثر المطلعين على حياة الحيوان والنبات. ولقد ان المحبة عند الإنسان خاصة منذ ولادته وحتى انتهاء المراهقة، غالباً ما يتحول إلى عقدة. أو عقبة الحرمان العاطفي التي تنعكس سلباً على مشاعر الإنسان وتصرفاته حيال نفسه والآخرين. ومن مظاهرها الانطواء والخجل والتردد والقلق والكآبة النفسية والشراسة والميل إلى إيذاء الغير والذات. من هنا نفهم كثرة الآيات والأحاديث الشريفة التي تأمر بالمحبة والعطف والحنان قولاً وعملاً كي تُجنب النفوس، خاصة التي فقدت أحد مصادر الحنان الرئيسية: الوالدين، خطر الانزلاق في عقد الحرمان العاطفي وسلباتها المضرة فرداً وجماعات:

﴿وبالوالذين إحساناً وذوي القربى واليتامى والمساكين﴾.  
 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.  
 ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ذَلِكَ رِبَّهَا﴾ (إبراهيم: ٢٤ - ٢٥).

لا بل إن الإسلام شرع بأنه ليس من الدين على شيء، كل إنسان قادر لا يساعد غيره من أن يتردى في مهاري عقد الحرمان العاطفي أو المادي:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يُحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (الماعون: ١ - ٣). والأحاديث في الحض على المحبة كثيرة جداً نكتفي ببعضها:

«والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا» (رواه مسلم).

«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» (متفق عليه).

«لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (أبو داود).

«من يحرم الرفق يحرم الخير كله» (رواه مسلم).

## ٢ - عقدة الحرمان المادي :

وقد أشارت إليها الآيات الكريمة التالية ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَشُورًا ﴾ .  
﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ . ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ .

هذه العقدة هي في بعض الأحيان متلازمة مع عقدة الحرمان العاطفي ،  
ومظاهرها في أكثرها «تعويضة» كالإسراف في المأكل والمشرب والتعلق  
المرضي بالأشياء الزائلة ومنها تولد عقدة البخل . وعقدة خوف الفقر وهي من  
أهم العقد ، وتشكل مع عقدة الموت أكثر العقد انتشاراً في النفوس الإنسانية .

ومن واقع المعرفة العميقة بالنفس الإنسانية والسيئات القاتلة التي  
تتلازم مع عقبة الحرمان المادي وعقبة العرص التي تنشأ عنها والتي هي الوجه  
المقنع لعقبة الحرمان المادي والعاطفي أيضاً ، ترى الإسلام قد سن فريضة  
الزكاة ومعناها تزكية النفوس والدرهم ، وجعلها ركناً من أركان الإسلام ، بل  
وجعل مانع الزكاة من المشركين :

﴿ ... وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
كَافِرُونَ ﴾ . (فصلت : ٥ - ٦) وَحَيْثُ كَانَ الْإِسْلَامُ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّفْسِ ، وَكَرِهَ  
الشح بعشرات الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة المعروفة من كل الناس  
والتي يتجاهلها وينساها أكثرهم مع الأسف ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . ﴿ لَنْ  
تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . ﴿ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾  
﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ . كما حدد التنزيل أن المعالم السوية  
للمشخصية الإسلامية أن تكون وسطاً في الإنفاق .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ .  
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا  
مَنْحُورًا ﴾ .

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

والحمد لله ان هناك ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ على



رأسهم الرسول الكريم والصحابه والصالحون من الأقدمين والمحدثين استطاعوا أن يتفادوا عقد الحرمان والحرص، بل ويشاموا بغريزة حب التملك إلى فضيلة حب البذل والسخاء والعطاء حتى الإيثار على أنفسهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ولو التزم الناس بتعاليم الإسلام ما بقي بينهم فقير أو جائع .

### ٣ - عقد النقص أو الشعور بالانسحاق والخوف من الغير:

وقد رمزت إليها الآية الكريمة التالية: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾ إن الشعور بالنقص والضعف هو إحساس طبيعي عند كل مخلوق حي . وعلى الإنسان أن يتخلص تدريجياً من هذا الإحساس مع اكتمال قواه الجسدية والعقلية والشعورية في نهاية المراهقة والدخول في مرحلة الرجولة والإنتاج، شرط أن تُسرَّ له تربية بيتية صالحة ومجتمع عادل لا مكان للظلم فيه . فعقد النقص تلازم في أكثر الحالات مع عقد الحرمان المادي والعاطفي أو العاهات والتشوّهات الخلفية والمكتسبة، أو التربية البيتية والاجتماعية الخاطئة، أو هذه الأسباب مجتمعة، ومن مظاهر عقد النقص الانعزالية والهرب والخوف من الغير، والقلق الشديد أمام كل شيء جديد والشراسة وحب الإيذاء للذات والغير .

ولقد لاحظنا أن التربية البيتية المرنكزة إلى قواعد الإيمان الصحيح المستمد من كتاب الله والحديث الشريف وسنة الرسول الكريم، هي الأساس في تكوين الشخصية المتزنة للأطفال والأولاد . فاستنصال بذور الشعور بالنقص أمام الفوارق الاجتماعية والجسدية لا يكون إلا إذا اعتقد الإنسان بتعاليم السماء الحقة وهناك عشرات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تساعد الإنسان على التخلص من عقد النقص شرط أن يعقل تعاليم الله ويلتزم بها ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾ . ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ

الْعُرُورِ». ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. وروى عن الرسول الكريم قوله : «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم). «كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى» من خطبة حجة الوداع. «رُبُّ أَشْعَثُ أَغْبَرُ ذُو طَمَرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِابْرَهُ» (رواه مسلم).

فالإسلام في تعاليمه وقاية للنفس الإنسانية من خطر الوقوع في متاهات العقد النفسية والسبيل الأمثل للشفاء من هذه العقد في حال وجودها.

وتجربتنا المهنية، وكذلك تجربة بعض المدارس النفسية في علاجها للعقد النفسية، أثبتت أن كل محاولة علاجية للعقد النفسية لا تركز إلى معطيات ومسلمات الإيمان الصحيح، فاشلة؛ وعلى الآباء والمربين أن يفهموا الجبل الطالع ضرورة الفروقات الاجتماعية لانتظام المجتمع استناداً لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلُوفًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْتَمُونَ﴾ (الزخرف : ٣٢).

فكل عمل يقوم به الإنسان ~~بغير~~ <sup>بغير</sup> هو عمل مشرف، ولا شعور بالنقص لدى القيام بأي مهنة فيها عمارة المجتمع ما دام المولى قد أمر بالعمل وَيَسِّرْ كُلَّ إِنْسَانٍ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْمَلَهُ.

٤ - عقدة التعالي والتكبر والفرور أو عقدة إبليس أو عقدة المعصية الأولى :

وقد رمزت إليها الآيات الكريمة التالية : ﴿إِنَّهُ يُفْرِحُ قَحُورًا﴾. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان : ١٨ - ١٩).

التعالي والتكبر والفرور من العقبات التي لا يحبها الله وهي مهلكة للنفس وللغير إذ غالباً ما تتلازم مع صفة الظلم والمولى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده :

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» حديث قدسي .

والإنسان منذ تَكُون شخصيته وحتى نضوجها يحاول التغلب على الشعور الطبيعي عنده بالضعف، إلا أنه قد ينتقل ومن خلال عملية المقاومة النفسية التي ندعوها بالتمويض إلى حب الشعور بالقوة والسيطرة والتعالي المرضي؛ وإذا لم يوازن الأهل والمربون في تربيتهم للأبناء بين شعور فطري بالضعف ونزعة شعورية بالتغلب على هذا الضعف من خلال حب وطلب القوة والسيطرة، فقد تجنح أهواء الأبناء ورغباتهم إلى الاستقرار في عقد التعالي والتكبر والغرور، وهي الوجه المقابل لعقد النقص والحرمان والحرص ومتلازمة في أكثر الحالات معها .

ولا شيء كالتربية الدينية الصحيحة يستطيع أن يسلك بالنفس الإنسانية إلى مرتبة وسط بين عقد النقص والانحياق وعقد التعالي والغرور . ومن أنشأ تنشئة دينية سليمة قلما يقع في مهاوي عقد النقص والتعالي ما دام يعي ويلتزم بما قاله المولى عزّ وعلا ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . . . ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ لَا فِي غُرُورٍ﴾ . ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ . (الإسراء : ٣٧) . وفي الحديث القدسي : «المرء إذا زارني، والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبت» (رواه مسلم) .

### ٣ - العقد الجنسية

ولقد رمزت إليها الآية الكريمة التالية : ﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (آل عمران) وفي الحديث الشريف : «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء» (رواه الترمذي) .

أرجع «فرويد» (طبيب نمساوي عاش في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) كل أحاسيس وتصرفات النفس الإنسانية

الطبيعية والمرضية إلى الجنس والرغبة الجنسية والعقد الناتجة عنها، وبنى مدرسة تحليلية نفسية قائمة على نظرياته هذه، والتي لم يوافق عليها ويتبعها إلا القلة من المهتمين بعلم النفس وأمراضها. ولقد أثبت الوقت والتجربة والنتائج في المعالجة النفسية حسب نظريات فرويد عدم صحة أكثرية نظرياته، بل وخطورة تطبيقها وخاصة أنها معقدة وقد فهمت بصورة ملتوية من أكثر المتعلمين من الناشئة.

وما كنا لتتطرق هنا لـ «فرويد» ونظرياته لولا الأثر السيء المدمر الذي تركته في تصرفات الناشئة، إذ فهموها دعوة إلى الإباحية الجنسية، والتحلل من القيم الأخلاقية الحقة التي تدعو إليها الأديان السماوية، والتي اعتبرها «فرويد» أوهاماً وتعقيداً للناشئة إذ كتب يقول: «الدين هذا الوهم» ولقد حصدت بعض المجتمعات الغربية النتائج التي علمها الجميع في نفوس الناشئة التي حاول «فرويد» أن يجلتها من عقدها النفسية، فقادت بها بعض نظرياته وربما الفهم الخاطيء لأكثرها، وكذلك نظريات أكثر المدارس النفسية الوجودية والحادية الانشائية، إلى ما هي عليه اليوم من التردّي في القيم الأخلاقية والأمراض الجسدية النفسية المعروفة من الجميع. ولا ترى «فرويد» من أثر خبير في علم النفس إلا أنه يلمز بعمداً جديداً في النفس الإنسانية هو اللا شعور وتأثيره المرضي المجهول في بعض التصرفات والانفعالات الإنسانية.

إن الغريزة الجنسية هي حاجة أساسية كبقية حاجات النفس التي عددناها في بداية هذا الفصل، ولكنها ليست كل الحاجات، وجموح الغريزة الجنسية دون أي وازع ديني صحيح، أو كبتها وطمسها ومنع التحدث عنها بفعل مفهوم أخلاقي أو ديني أو اجتماعي خاطيء هو الذي يقود إلى العقد النفسية الجنسية وينعكس سلباً على شعور الإنسان وتصرفاته.

ولقد نظم الإسلام من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف

والسيرة، الأسس الصحيحة للتربية الجنسية، التي تكفل للفرد حياة جنسية سليمة بعيدة عن العقد، وسنفصل ذلك لاحقاً في كتاب «التثنية الإسلامية وعلم النفس» إن شاء الله .

أما القول بأن جميع أمراض النفس العصابية واضطرابات الشخصية وحتى الأمراض الذهانية نابعة من عقد جنسية تبدأ مع ولادة الإنسان وتمتد حتى سن المراهقة كما يدعي فرويد، وحسب تجذر وبقاء هذه العقدة الجنسية أو تلك، خلال المراحل التي يمر بها الطفل والولد والمراهق، تنشأ الأمراض النفسية العصابية المختلفة، فلقد أثبت الواقع ونتائج المعالجة النفسية التحليلية حسب مبادئ فرويد، وبعد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن على اتباعها من بعض الأطباء النفسيين أن في مبادئ فرويد بُعداً كبيراً عن معرفة ماهية النفس الإنسانية وتفهم أسباب العقد النفسية التي تتحكم في تصرفاتها .

ولو سلمنا جدلاً مع فرويد وأتباع مدرسته إرجاع أغلب مظاهر الأمراض النفسية العصابية واضطرابات الشخصية إلى عقد جنسية كحاصلة ومتجذرة فينا منذ الولادة وحتى البلوغ، واستطعنا أن نقنع المريض بقبول المعالجة النفسية التحليلية على طريقته [ وهذه تتطلب على الأقل وباعترافهم أنفسهم مدة ثلاث سنوات من المعالجة المستمرة وبمعدل ثلاث جلسات في الأسبوع مع نتيجة غير مضمونة طبعاً، ومبلغاً باهظاً من الأتعاب الطبية يجب أن يدفعه المريض، إذ حسب مبادئ فرويد في التحليل النفسي، يجب أن تصلم المريض النفسي وتُدفعه غالباً ليشفى، كيف لا وهو اليهودي في قريته ومعتقه ؟ ] .

وبعد ثلاث سنوات من المعالجة المستمرة والنزف المالي الدائم، يصل المريض النفسي إلى أن يكتشف بنفسه إحدى العقد الجنسية الدفينة التي ترجع

إلى إحلى مراحل طفولته، وبذلك حسب زعمهم يشفى! هنا نسألهم وتساءل: ماذا يفعلون بعقد الموت وكيف يحلوننها وهي برأي الجميع من أهم وأعقد العقد النفسية الظاهرة، أو الدفينة في النفس الإنسانية والتي لا سبيل لحلها برأينا إلا عن طريق الإيمان بوجود حياة أخرى غير حياتنا الدنيا هذه.

#### أ - الإباحية الجنسية وبدعة التربية الجنسية المدرسية

ولقد كان من نتيجة نظريات فرويد، في الجنس والعقد الجنسية، ردة إباحية في أكثر المجتمعات الأوروبية والغربية انعكست سلباً على متبعيها من الأفراد والجماعات، فكل العاملين في الحقول الاجتماعية والمؤسسات التربوية والمعالجات النفسية، يعرفون اليوم أن أكثر الإباحيين من الذين ينظرون إلى الجنس وممارسة العلاقات الجنسية من زاوية العرض والطلب كتدخين سيجارة، أو شربة ماء، أو تشيخ الغريزة، هم في أكثرهم مرضى نفسيون من المصابين بالهوس الجنسي وهي الحقيقة هم مرضى العجز الجنسي في أكثر الأحيان، وما تصرفهم إلا بالتصرف تعويضي لإخفاء أو محاولة شفاء من عجز جنسي يحاولون عن طريق الإباحية التخلص منه، ولم ولن يتخلصوا من عجزهم الجنسي عن طريق كهذه.

ذلك أن أغلب الأمراض النفسية من عصابية وذهانية واضطرابات في الشخصية يصاحبها في أكثر الأحيان اضطرابات في العملية الجنسية. أما قول البعض من الإباحيين في العلاقات الجنسية، بأن الإنسان يصبح مريضاً نفسياً لأنه لا يمارس الجنس فهو مردود في أكثر الحالات، إذ ليس الجنس وممارسته هو المتنافس الوحيد للراحة النفسية كما يزعم هؤلاء بل إن الراحة النفسية الحقيقية هي فهم النفس لذاتها والإطمئنان لحاضرها ومستقبلها والتفهم لمعنى وجودها، ومعطيات كهذه لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال السلوك بالأفراد والجماعات في طريق الإيمان الصحيح الذي يعطي

كل إنسان الجواب المظمث لمعنى وجوده في هذه الحياة الدنيا وماذا ينتظره بعد موته .

برأينا، إن الناس، كل الناس، غير المؤمنين قولاً واعتقاداً وعملاً بالله واليوم الآخر وتعاليمه، هم من المرضى العصبيين أو من مضطربي الشخصية سواء ظهرت أعراضهم للعيان أو تستر تحت كثير من التصرفات التعويضية الشترية التي لا تخفى على لبيب، فالمقياس الذاتي للصحة النفسية، هو السعادة، أي هذا الشعور الداخلي شبه الدائم بالطمأنينة، وشعور كهذا لا يوجد إلا عند المؤمنين حقاً، وهذه حقيقة لا جدال فيها يعرفها جيداً من ذاق طعم السعادة الحقيقية، بل ومن أصدق من الله قبلاً في تحديد مقاييس السعادة والصحة النفسية :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس : ١٠١-١٠٣)

ب - بدعة التربية الجنسية المدرسية

ولقد كان آخر ما وصل إليه أنصار الإباحية الجنسية أنهم أدخلوا ما سموه بـ « التربية الجنسية » إلى المدارس الابتدائية والتكميلية والثانوية منذ سنوات، ووصلت بضاعة كهذه من حضارة الغرب إلى بعض مدارسنا الخاصة، وبدأ الأهل والأطباء النفسيون وأطباء الأمراض النسائية والتوليد يعانون من آثارها المدمرة .

تحت شعار علم تعقيد الناشئين، عقدهم جنسياً بتربيتهم الجنسية، وتحت شعار محاربة الجهل، والظلام، فتحوا عيون أولادنا وفلذات أكبادنا من المراهقين والمراهقات على حقائق لا فائدة منها أن تعرف إلا في حينها، أي عند الزواج واكتمال النضج النفسي قبل الجسدي، بل من الحقائق ما هو السم في الدسم .

ماذا ينفع أولاد التاسعة والعاشرة، أن يشرحوا لهم في حصص التربية الجنسية في المدارس، شكل وعمل وتركيب الأعضاء الجنسية والحيوان المنوي والبيضة وعملية التلاقح، وفي هذه السن المبكرة من العمر؟

أما حصص التربية الجنسية في الصفوف الثانوية، فقد تحولت في بعض المعاهد في أوروبا إلى دروس عملية تطبيقية أمام الجميع وأحياناً بواسطة الوسائل السمعية البصرية !!!

وماذا كانت النتيجة؟ ألوف الحالات من الاجهاض السفاحي أسبوعياً في أغلب البلدان الأوروبية وأكثرها عند المراهقين. مئات الولادات من الأطفال الذين لا يعرفون آباءهم، وأمراض نفسية وجنسية في نسبة تصاعدية مذهلة عند المراهقين والمراهقات، واستهلاك لمئات الأطنان من حبوب منع الحمل من قبل المراهقات ابتداءً من حياتهم الجنسية التبعية هذه.

نحن نعتقد أن العملية الجنسية، هي في الحقيقة عملية فيزيولوجية في أسسها ومرتكزاتها أي غريزية لا تتطلب تربية جنسية مدرسية، فهي كعملية الطعام أو التنفس، وفي التربية الدينية البينة والمدرسية النيرة المفتوحة، وليست المترتبة، جميع الأجوبة والحلول العقلية المقنعة لجميع التساؤلات التي قد يطرحها أولادنا علينا في البيت أو في المدرسة حول ما يتعلق بالجنس وعلاقة المرأة بالرجل.

ولقد وجدنا أن أبعد الأفراد من الأولاد والمراهقين والبالغين عن المشاكل والمعاناة من العوارض المرضية النفسية، ليسوا بالضرورة هم المفتحين والعاوفين بحقائق الحياة الجنسية وممارستها قبل الزواج بل العكس من ذلك تماماً.



## ٤ - طغيان الإنسان

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْفَاقٌ ﴿١﴾ أَلَمْ يَرَأْ أَنْ يَخْلُقْهُ أَلَمْ يَرَأْ أَنَّ اسْتَفْقَى ﴿٢﴾ (العلق : ١-٢) .

هذا هو الإنسان ، إنه يطفى في كل شيء ، عندما يجد في نفسه القدرة على ذلك ، فيضيع في مناهات العقد النفسية ، فيصبح تبعاً لأهوائه وشهواته وطاغوته النفسي .

كان وما يزال كما وصفه أعلم العالمين به : هلوياً - جزوعاً - مشوعاً - ظلوماً - جهولاً - فخوراً - مفروراً - قثوراً - كفاراً - مفسداً - سفاكاً للدماء - لا عزم له ، إلا من أسلم قيادته لله . والإسلام هو التزام وعمل بتعاليم السماء الحقة ، وتعاليم السماء الحقة لا تتعارض مع العلم ، بل هي العلم الحق ، وكل علم ثابت يؤكد أن كل ما جاء في القرآن الكريم هو الثابت والحقيقي في كل مجالات العلوم .

والإسلام إذا فهم ودُرُس وأُتقِن بِعِصْوَةِ مِنْهَجِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي الْبَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْمَجْتَمَعِ ، هو وحده القادر كنظام سماوي متكامل لا ثغرة فيه على أن يخلص الإنسان من كل عقده النفسية ، بل يتسامى بها فيحول عقد الموت وحب الحياة إلى فضيلة الجهاد وطلب الشهادة . . وعقد الحرمان والنقص والتعالي ، إلى فضائل المحبة الصادقة والثقة بالنفس والتواضع والصبر ، وعقد الحرص والشح إلى فضيلة الإحسان والإيثار ، وعقد الجنس إلى فضيلة العفة والترفع عن كل شهوة جنسية آثمة .

وتاريخ الإنسان العاقل فرداً وجماعة ، منذ أن وجدت الإنسانية وحتى يومنا الحاضر هو خير تصديق لما أشرنا إليه أعلاه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي أَنَاكُمْ﴾



مرارة عُقْبِ الحرمان المادي والعاطفي وظلم الإنسان وطغيانه نحو الغير نقرأها  
على وجه هذه المرأة

### الأمراض النفسية والعقلية

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْنَانُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُنْتَدٍ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ يَلْعَنُ اللَّهُ أُولَئِكَ وَلَكِنَّهُمْ يُلَافِكُونَ ﴾

(المائدة: ١٨)

«آية المتافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أومن خان». وفي رواية أخرى : «وإذا خاصم فجر».

(حديث شريف - رواه الترمذي)

«يهدم الإسلام بثلاث : زلة عالم، وجدال متافق بالقرآن، وأئمة مضللون».

(عمر بن الخطاب)



العلم علمان : علم مادي يخضع للتجربة ويقع تحت سلطان الحواس ،  
وعلم إنساني عقلي وشعوري . والباحث في آيات الله الكريمة يجد أنها  
تطرق إلى مختلف فروع العلم التي عرفها أو سيعرفها الإنسان : فهناك آيات  
كريمة رسمت الخطوط الرئيسية للمعلوم المادية كعلم الأجنة ، والوراثة  
والفلك ، والجيولوجيا ، والنبات ، والحيوان ، وغيرها ، هي وجه من وجوه  
إعجاز القرآن الكريم لم يفصلها التزليل ؛ لكن المولى سبحانه وتعالى أمر  
الإنسان وأهله بما أودعه فيه من عقل مفكر لاكتشاف تفاصيلها : ﴿ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ  
الْخَلْقَ ﴾ . ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ  
الْحَقُّ ﴾ .

أما في حقل العلوم الإنسانية ، كعلم النفس والقانون والاجتماع  
والعقيدة والأخلاق وغيرها ، فالباحث يجد في القرآن الكريم ، والسنة  
والحديث الشريف تفصيل كل شيء . وما على الباحث في هذا الحقل إلا  
شرح واستنباط وبرمجة النصوص ، وذلك ، تقديرًا من المولى ، وهو الأعلم  
بمن خلق ، من أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة في حقل العلوم

الإنسانية بواسطة عقله فقط، وما أنزلت الكتب السماوية، وهي في الحقيقة كتب الصيانة للأفراد والمجتمعات، إلا لإصلاح النفوس وإرشادها إلى السبل التي تسعدها، والابتعاد عن السبل التي تُثْقِيها. فمن الطبيعي إذن أن نجد في القرآن الكريم، الوصف الأوجز والأبسط والأعمق والأصح للعلل النفسية وأسبابها وطرق علاجها.

ولقد استخلصنا في الفصول السابقة، أسباب العلل النفسية وسبل علاجها إيمانياً، ونحاول في هذا الفصل أن نستخلص قدر ما يسره المولى لنا، بعض النماذج للأمراض النفسية كما دل عليها كتاب الله الكريم.

## ١ - أمراض الشخصية

### ١ - تعريفها:

الشخصية هي مجموعة الجوانب السلوكية والتصرفات والأحاسيس الشعورية واللاشعورية والأفكار والتصورات العقلية، هي الفكرة الكلية، غير الثابتة، أو المستقرة، التي يكونها كل إنسان عن ذاته وذات الآخرين. ومن أصعب وأجمل الأشياء، أن يعرف الإنسان حقيقة ذاته والآخرين، وفي القرآن الكريم نجد الوصف الحقيقي للذات الإنسانية بكل مقوماتها ومسيباتها شقائها وسعادتها.

### ٢ - معالم الشخصية السوية:

مثات المجلدات كتبت وسكتب حول تحديد معالم الشخصية السليمة، وعلماء النفس لم يتفقوا في ما بينهم على نموذج معين من الشخصيات السليمة، بل ذهب البعض منهم إلى القول بأنه لا توجد شخصية سليمة بالمعنى الحرفي للكلمة. ففي كل نفس جوانب مريضة لا تخفى على لبيب، ونرى أن أحسن تعريف جامع للشخصية السليمة بأنها الشخصية

السعيدة بذاتها والتي تسعد الآخرين ولا تؤذيهم ، وهي في مثلها الأعلى تمثلت  
بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وقد وصفه التنزيل بالقول ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى  
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كذلك شخصية بقية الأنبياء والرسل وشخصيات الصديقين والأولياء  
الصالحين من المؤمنين .

بكلمة مختصرة نُعرِّف الشخصية السليمة بأنها الشخصية المؤمنة حقاً أي  
قولاً وفعلماً والتزاماً وما عدا ذلك فنحن نوافق علماء النفس بأنه لا توجد  
شخصية سليمة بالمعنى الحرفي للكلمة .

ولقد حدد القرآن الكريم معالم الشخصية السليمة بعشرات الآيات  
متفرقة ومجموعة نكتفي بهذه الآيات من سورة الفرقان ، إذ يجد فيها كل دارس  
في علم النفس موضوع أطروحة وفي معالم الشخصية السليمة :

فالشخصية السوية هي شخصية عبادة الرحمن الذين لا يتكبرون ولكن  
يخاطبون الناس على قدر عقولهم : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى  
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

والشخصية السوية هي الشخصية المؤمنة وهذه بعض صفاتها ﴿وَالَّذِينَ  
يُسَبِّحُونَ رَبَّهُمْ سُبْحًا وَظَهْرًا وَمَشْيًا﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ  
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ .

والشخصية السوية هي الوسط بين الإسراف والافتقار في الإنفاق  
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ .

والشخصية السوية هي القائدة التي لا تعبد إلهاً إلا الله وما أكثر الآلهة  
التي يعبدها الناس ، فالنساء والبنون والمال والشهوات والطاغوت ، هي آلهة  
أكثر الناس قديماً وحديثاً وليست أصنام الجاهلية فقط : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَزْنُونَ﴾ .

والشخصية السوية هي الأوبة التي لا تثبت بأخطائها وذنوبها إذا ضعفت أمام إلحاح النفس الأمارة بالسوء، بل ترجع إلى الله وتستغفره: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَظَّاءَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٤ - ١٣٥).

والشخصية السوية هي الصادقة التي لا تكذب ولا ترتكب المعاصي التي حرمها المولى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا﴾. ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والشخصية السوية هي العاقلة العالمة تتدبر آيات الله وأحكامه فتفهمها فهماً سوياً نيراً علمياً بالعمق، وليست تلك الشخصية المتشنجة، المتعصبة التي تفهم وتطبق أحكام الله من خلال عقدها وجهلها وتعصبها الأعمى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

وروي عن الرسول الكريم قوله: «ليس منا من دعا إلى عصبية، ومن قاتل على عصبية، ومن مات على عصبية».

والشخصية السوية هي الرحيمة التي تشفق على أفراد عائلتها من الضياع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فتعمل على أن تؤمن السكينة للزوجة والزوج والأولاد، فالعائلة هي نواة المجتمع، وبصلاحها تصلح المجتمعات ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ. فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَقَانَا عَذَابَ السُّومِ﴾ (الطور: ٢٦ - ٢٧) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.



والشخصية السوية هي الملزمة التي استطاعت أن تلتزم بوصايا الله التي نجدتها مجموعة في ثلاث آيات كريمة من سورة الأنعام، فليحفظها وليعمل بمضمونها كلي من يريد أن يكون سوي الشخصية : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَعَثَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . (الأنعام : ١٥١ - ١٥٣) .

وبقدر ما تقرب النفس الإنسانية من هذه الصفات وتعمل من خلال مضمونها، تقرب من صفة الشخصية السوية المبررة أي المؤمنة، وبقدر ما تبتعد عن هذه الصفات قولاً وعملاً، تبتعد عن صفة الشخصية المريضة . وتختصر صفات الشخصية السوية الآية الكريمة الجامعة ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٣٥) .

### ٣ - الشخصية المريضة :

للشخصية المريضة أسماء كثيرة في كتب علم النفس، إذ تدرس تحت أسماء : عصاب الشخصية، والشخصية غير المتزنة، والشخصية اللاأخلاقية، ونحب أن ندعوها نحن بـ « الشخصية المناقفة » . وقد وصفها القرآن الكريم أشمل وأوجز وأدق وصف، وكشف خبايا ميقاتها في العشرات

من الآيات الكريمة، مفصلاً كل سمة من سماتها المرضية .

ولو درس كل مهتم بالأمراض النفسية كل ما كتب عن الشخصية المرضية، وما أكثر ما كتب عنها، لما استطاع أن يكون عنها الفكرة الصحيحة العيقة الموجزة كتلك التي يجدها في كتاب الله الكريم .

#### أ - الشخصية المرضية بصورة إجمالية

لشخصية المرضية، نماذج عدة، تبعاً لسيطرة إحدى السمات المرضية فيها على بقية السمات إلا أنه يجمعها قاسم مشترك هو فقدان الإيمان الصحيح .

والشخصية المرضية مسؤولة عن أعمالها في الدنيا والآخرة :  
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْتِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُمْ شَيْئًا إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأحزاب : ٢٦) .

والشخصية المرضية، هي حالة حدود بين المرض والصحة بالمعنى المتعارف عليه في علم النفس، إذ نادراً ما تشعر أو تعلم أو تعترف هذه الشخصيات بعدم اتزانها ما دامت تجد متنفساً لتنفيذ غاياتها وأهوائها ونزواتها اللاأخلاقية من خلال الأفراد الذين تتعايش معهم، أما إذا جابهها الغير ورفض الانصياع لرغباتها ونزواتها وأهوائها المرضية، فقد تصل هذه الشخصيات غير المتزنة إلى عيادة الطب النفسي، ولكن بعد الكثير من المآسي الاجتماعية، فهي حينئذ «مُحَطَّمة مُحَطَّمة» «مُعَذِّبة مُعَذِّبة»، لكنها بعد فترة لا تلبث أن تعاود سيرتها الأولى من إيذاء الغير ودون أي شعور بالذنب، بل على العكس فإنها تعتبر نفسها ضحية أخطاء وذنوب الغير، إنها من أصعب النفوس علاجاً وأشدّها إيذاءً للمجتمع . وتنبهنا لنا من المولى عزّ وعلا إلى خطورة هذه الشخصيات اللاأخلاقية على المجتمع نجد في كتابه الحكيم

عشرات الآيات التي رسمت صفات هذه الشخصيات، لا بل إن المولى سمي بعض السور الكريمة بأسماء بعض النماذج منها تحذيراً من خطورتها، كسورة «المنافقون» و «المطففين» و «الكافرون».

#### ب - الشخصية المريضة بصورة تفصيلية

هي الشخصية المنافقة ذات الوجهين : كاذبة ، تتستر وراء الدين والتقى لتصل إلى مآربها الخسيسة : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقد يخدع بعض الناس بجميل مظهرها الخارجي وحلاوة أقوالها، ظاهرها جميل وباطنها فارغ أجوف عفن : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ . كَانَتْهُمْ قُشُبٌ مُنْجِنَةٌ﴾ . وتجذون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (حديث شريف) .

وهي الشخصية الجبابة ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ مِصْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُودَ الْمَوْتِ﴾ .

وهي الشخصية المكابرة، المقرورة، المتعالية التي يشت من رحمة الله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون : ٥) .

وهي الشخصية المفسدة، التي تعيث في الأرض فساداً، وبالرغم من ذلك لا تشعر بإفسادها، بل تعتبر نفسها مصلحة : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

وهي الشخصية المشككة المرتابة بكل شيء ، بالله والناس : ﴿فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (شك) فَرَّادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا. ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾. ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غُرٌّ هُوَ لَاءُ دِينِهِمْ﴾.

ولقد وردت جملة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم وفي أكثر معانيها تعني النفوس المشككة، سيئة الظن بالمولى ورسوله والناس..

وهي شخصية كل ﴿مُزْمِرٍ لِّمَزْوٍ﴾، وكل ﴿خَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ وكل سفيه في القول والتصرف، وهي لا تعرف ذلك بل تسفه الإيمان الفطري السليم عند الغير: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٣).

وهي الشخصية المطففة، شخصية قوم شيب من المطففين، وما أكثر المطففين في يومنا الحاضر.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَفْزِفُونَ﴾. وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ ذُرُوعُهُمْ يُخْشَرُونَ﴾ (المطففين: ٢ - ٣).

وهي الشخصية القتورة، البخيلة وإن تظاهرت بالعكس العكس: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (المنافقون: ٧).

وهي الشخصية المتذبذبة بين الإيمان وعدمه إذ تتبع ما يتناسب مع أهوائها ورغباتها في مسألة الأوامر والنواهي الإيمانية، وتترك ما يتعارض ونزواتها الشخصية، إذ نصلي وتزني، وتنفق على الغير علناً رثاء الناس وتسرق في الخفاء وتاكل الربا:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَكْشِفُ السُّمُومَ﴾ (هنا بمعنى تعاليم القرآن الكريم) يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (البقرة: ٢٠).

أما إذا اجتمعت كل هذه الصفات المرضية بصورة بارزة ومبطرة في شخصية واحدة، فهذه هي شخصية أكثر الطغاة وأعداء المجتمعات على مر التاريخ وحتى يومنا الحاضر لهم: ﴿صَمٌّ بِكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. أما مصيرهم في الدنيا والآخرة فهو المذلة والمهانة والعقاب: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، قَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

هذا غيض من فيض من أوصاف الشخصيات المريضة علماً أن في أعماق كل نفس غير مؤمنة حقاً شيئاً من صفات هذه الشخصية المريضة التي رسمنا خطوطها المريضة ولا سبيل للتخلص من هذه الصفات قبل استفحالها إلا باتباع سبل الهداية الموجودة في نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. وكل علاج نفسي لا يعتمد على ذلك هو وقتي غير مجد، والتجربة والواقع يصدقان ذلك.

## ٢ - الأمراض النفسية العصابية

المريض النفسي العصبي، يختلف عن المريض النفسي، بأنه يعرف ويشعر ويعترف بأنه مريض في أحاسيسه وأفكاره وتصرفاته، ونادراً ما يهدم الغير ويؤذيه، بل يبقى على اتصال وتعامل مع محيطه ضمن القوانين السائدة فيه، وهو يطلب المساعدة والعلاج.

لن نتوقف أمام مختلف الأمراض النفسية العصابية، من عصاب القلق إلى عصاب الخوف والهلع إلى عصاب الهستيريا وغيرها، إذ يجمعها قاسم مشترك وهو القلق والخوف من المجهول، ولقد فصلنا في الفصول السابقة نشأة وجذور وعلاج هذا الخوف من الأشياء المجهولة والمعلومة، فكل الأمراض العصبية ترجع في جذورها إلى عقد النفس الأساسية، كعقد الموت، وعقد الحرمان المادي والعاطفي وعقد النقص والتعالي والعقد الجنسية وغيرها...

## عصاب الوسواس

نتوقف قليلاً عند عصاب الوسواس أو ما يسمى بعصاب السلوك والتفكير الجبري، وهو من أشد الأمراض العصبية إزعاجاً وأصعبها علاجاً كما هو معروف في علم النفس .

فعصاب الوسواس متجذر في أعماق النفس الإنسانية، ويرجع في منشئه إلى عقد الموت بصورة رئيسية، وعقد القصر والخوف من الغير وحب الظهور وعقد الحرص والحرمان بصورة ثانوية . وقد يكون للعامل الوراثي بعض التأثير، إلا أن التربية البيئية من قبل أهل هم أيضاً «موسوسين» هو العامل الرئيسي في تنشئة وتجذر وصعوبة علاج الوسواس، كما وأن التحليل النفسي على طريقة «فرويد» أو غيره والمعالجة الكيميائية بالعقاقير، أو المعالجة السلوكية بمواجهة المريض بتدريجياً بما يخفيه ويتوسوس منه، أثبت كلها بعد عشرات السنين من اتباعها، عدم جدواها أو فاعليتها المؤقتة، ولولم يكن الوسواس بهذه الدرجة من الإزعاج وعدم الاستجابة للمعالجات الوضعية لما أمر المولى الناس ~~باعتقاده~~ ~~والموسوسين~~ ~~بأنهم~~ خاصة بالالتجاء إليه وإلى تعاليم كتابه في سورة مخصصة «بالوسواس» هي إحدى المعوذتين :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

وقد وجدنا من خلال تجربتنا العلاجية في حقل الأمراض العصبية، وخاصة عصاب الوسواس، أنه لا شيء يجدي بصورة دائمة إلا المعالجة النفسية التحليلية المستندة إلى ما تدعوه مبادئ التحليل النفسي المستخلصة بصورة علمية ومنهجية من كتاب الله والحديث والسنة، وكل محاولة تحليلية نفسية تتعارض مع هذه المبادئ الإيمانية هي مضیعة للوقت والمال . وإحصائيات المهتمين بالتحليل النفسي تؤكد ما أشرنا إليه أعلاه .

### ٣- الأمراض العقلية الذهائية والتخلف العقلي وفقدان القوى العقلية

إن الأمراض العقلية كالذهان الدوري والهلوسة الحادة والمزمنة وانفصام الشخصية، والتخلف العقلي الخلفي والاكسابي، هي أمراض عضوية ناتجة عن خلل في وظيفة الخلايا الدماغية وإن كانت عوارضها فكرية شعورية أو سلوكية، لذلك يجب أن نفصلها عن الأمراض النفسية كما فصلناها سابقاً، ولقد سمح المولى باكتشاف بعض سبل معالجتها بالمواد الكيميائية منذ عشرات السنين فقط. وعلاجها كغيرها من بقية الأمراض العضوية يكون بسؤال أهل العلم والاختصاص التزاماً بقوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أما فقدان القوى العقلية في سن الشيخوخة الناتج عن تدمير في الخلايا العصبية وضمور في الدماغ فلم يكشف العلم حتى الآن وربما لن يكشف أبداً أي دواء فعال له، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي عُرْسِهِ مَا يُخْلَقُ فِيهَا﴾. (يس: ٦٨). ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي عُرْسِهِ مَا يُخْلَقُ فِيهَا﴾. (الحج: ٥).

### ٤- أمراض المس الروحي

إن ما يسمونه دجلاً بالطب الروحي، هو تجارة رابحة تمارس بصورة علنية على أيدي المنافقين والجهلة والمشعوذين في لبنان والعالم، أما العارفون بحقيقة الطب الروحي فهم القلة النادرة جداً يعرفهم النزر القليل من الناس، ولا يعلنون عن أنفسهم وعن قدراتهم الروحية، ولا يتقاضون أجراً إلا ممن وهبهم هذه القوة الروحية الشافية المولى سبحانه وتعالى فهو وحده جلت قدرته ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

كل يوم يطرق باب عيادتنا العديد من المرضى النفسانيين الذين تنقلوا بين

عبادات الطب الروحي المنتشرة في بيروت ولبنان أو العالم ، ولم يلتجئوا إلى الطبيب النفسي المختص إلا بعد أن استنفدت ، بصورة احتيالية ، أموالهم وساءت حالتهم المرضية ، وما كنا لتتطرق لموضوع «المس الروحي» لولا كثرة الأفكار المغلوطة عنه عند أكثر الناس حتى المؤمنين منهم .

فمن الوجهة القرآنية : إن المس الروحي لا يستطيع أن ينكرها المؤمن ما دمتا نجد في كتاب الله الكريم ما يؤيدها نصاً :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . . . فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

فالمس الروحي يكون بفعل إبليس وجنوده من الجن غير المؤمن ؛ وإن حصل ، ونادراً ما يحصل فلا تأثير له إلا في النفوس غير المؤمنة . والنصوص القرآنية واضحة في هذا المعنى ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصُورِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . إِنَّ حِيَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الاسراء : ٦٤ - ٦٥) ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل : ٩٨ - ١٠٠) .

ومنعاً لكل جدال ، وبكل بساطة نقول لكل مؤمن ضعيف الإيمان ، أو مدعي الإيمان ، أو غير مؤمن : إذا كنت تعتقد بالمس الروحي فما عليك إلا الالتزام بتعاليم المولى والاطلاع والتعمق في فهم الآيات التي ذكرناها أعلاه وسوف تشفى .



أما ما نقرأه في بعض كتب التفسير من أن الرسول الكريم قد سحر وخالطه لبعض الوقت شيء من المس الروحي فهذا من الروايات الملفقة نقلها بعض المفسرين، سامحهم الله، في كتبهم. فالرسول الكريم هو كما وصفه التنزيل: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾. ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾. ﴿فَذَكِّرْهُمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

وأما معنى الآية الكريمة التالية: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ التي اعتمدوها لمقولتهم هذه، فنحن نفهمها بأن المولى يطلب إلى المؤمنين الالتجاء إليه من شر النفوس التي تريد أن تفصم عرى عقيد المحبة والألفة بين الناس.

وبما أن لكل عموم خصوصاً، ولكل قاعدة استثناء، فلقد منح المولى  
لايلى أن يمر فيه أيوب بلاء منه، ودرساً للصبر لكل مؤمن:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مُمْسِيئٌ شَرٌّ﴾

وَعَذَابٌ

مرکز تحقیق تکنولوژی علوم اسلامی

وأما بقية المس الروحي كاذب العين الحاسدة، فهو حقيقة لا ننكرها ما دام هناك نص قرآني صحيح في هذا المعنى ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وفي الحديث الشريف: «العين حق». وما على الإنسان إذا تخوف من المس الروحي إلا اللجوء الصادق إلى المولى من خلال الالتزام بتعاليمه. والمعوذتان من آيات الشفاء للمؤمنين من المس الروحي إذا تسربت لأنفسهم هذه الأفكار الوسواسية وغالباً ما تسرب، علماً أن المس الروحي الصحيح هو حالات نادرة جداً إذ لم نستطع أن نقع خلال عشر سنوات على أي حالة حقيقية، كما أن أكثر الذين يمارسون تجارة الطب الروحي في لبنان هم حسب خبرتنا من المشعوذين والمرضى النفسيين، والله أعلم بهم والله الحميد.



## الفصل السادس

### مفهوم المصيبة على ضوء المحدثي القرآني

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

(قرآن كريم)



ولا تصيب عبداً نكبةً كما توتيتهم ولو كانوا إلا بذنب وما  
يعفوا الله عن أكثره

(حديث شريف - رواه الترمذي)

«كل مصيبة تصيبني في مدرسة الدهر ولم تقتلني فهي  
قوة جديدة لي» .



أن يفهم الإنسان معنى وهوية المصيبة التي قد يتعرض لها في حياته الدنيا هذه، وهي حياة بلاء واختبار وتكليف، هو برأينا في طبيعة الأسباب التي تؤمن له الراحة النفسية والسعادة، ولم نجد من خلال دراستنا النظرية لمختلف المدارس الفلسفية والنفسية والاجتماعية، ونجربتنا المهنية، منهجية عقلانية متكاملة نستطيع أن نعطي المعنى العقلاني المقنع، لتقبل المصيبة مهما كان وقعها، كالمنهجية التي نستطيع استخلاصها من خلال القرآن الكريم والحديث والسنة الشريفة.

ولقد حاول بعض المستشرقين، وأعداء الإسلام، الضاد إلى الدين الإسلامي من زاوية استسلام المؤمن إلى مشيئة الله وقدره، وهم لو فهموا أو عقلوا معنى مشيئة الله وقضائه وقدره، لوجدوا أن أحد الأسباب الأساسية للطمأنينة النفسية عند المؤمن الحق هو في فهمه الصحيح لمعاني مشيئة الله وقضائه وقدره، وهي تعني السعي والعمل وتحصيل العلم والأخذ بالأسباب، والفهم النير العميق للنصوص الإلهية والعمل والالتزام بمضامينها.

وسنعرض في هذا الفصل لمعاني المصيبة وهويتها، وهي ذات صلة

وثيقة بنفسية الإنسان وتصرفاته . وقد خاض فيها كثيرون من الباحثين ، فضاع بعضهم في متاهاتها وأضاع القراء ، وشوهها بعضهم وأساء إلى الدين الإسلامي من حيث لا يدري ، واستغلها البعض لئلمز من الإسلام .

إن البحث في هذا الموضوع ، وعلى ضوء الهدى القرآني والأحاديث ، هو من أجمل الموضوعات وأمتعها ، وتبسيط المصيبة وتقريبها من ذهنية المؤمن هو برأينا من الواجبات الدينية التي تفتح للمسلم آفاقاً واسعة تساعد في الوصول إلى الراحة النفسية والسعادة .

من خلال تجربتنا المهنية مع المرضى سواء كانوا نفسيين أم عضويين وغالباً ما تتداخل العوامل النفسية والعضوية في تأثيرها المرضي عند الإنسان ، ومن خلال الحديث مع أهلهم ومن يعنى بهم ، (وعناية الأهل بالمريض وخاصة النفسي وإحاطته بالاهتمام والرعاية شرط أساسي وضروري لشفائه) وجدنا أن شرح معنى المصيبة سواء كانت مرضاً خطيراً قاتلاً أم مزماً غير قابل للشفاء ، ومن زاوية إيمانية ، هو من أهم المتطلبات العلاجية النفسية ، التي تساعد المريض ، والأهل على تقبل المصيبة المرضية التي حلت بهم بل والرضا بها .

وللمصيبة ثمانية معانٍ : هي بلاء أو خفران أو جزاء أو دواء . هي من نفس الإنسان أو من جهله أو من غيره أو لغيره .

### ١ - المصيبة كبلاء

هي أولاً بلاء أي اختبار وامتحان لإيمان الإنسان وصبره . من خلالها يُميز المؤمن الصادق من المزيف المخادع : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (أي يختبرون ويمتحنون) . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ (بمعنى فليشهدن) اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿ (العنكبوت: ٢ - ٣) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْلَىٰ لَهُ الْجِنَّةُ وَلَمَّا

يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ (آل عمران : ١٤٢) ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الحج : ١١) ، والمولى ، علام الغيوب ، يعلم منذ الازل الايمان المزيف من الايمان الصادق ، إنما تأتي عدالته إلا أن يشهد الإنسان على صدق أو كذب إيمانه من خلال المصيبة الاختبار حتى لا يكون له أية حجة يوم الدين .

## ٢ - المصيبة كففران

وقد يتساءل المرء في نفسه : ولماذا يتلى المؤمن الصادق في إيمانه ما دام المولى يعلم صدق إيمانه ؟ ربما ، والله أعلم ، لأن المؤمن الصادق يتلى بلاء تكفير عن ذنوب وأخطاء سابقة : ﴿ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبَةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا ذَكَّيْ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، كما وأن المؤمن الصادق يتلى بلاء تدليل وشهادة وتبيان ، للخير على صبره وصلابة وصدق إيمانه ، فالرسل والأنبياء والمؤمنون هم في طليعة المبطلين بالمصائب ليكونوا المثل الأعلى للناس في الشهادة على صدق الايمان والصبر والتزامهم بما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٥ - ١٥٧) . ﴿ لَنَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْنُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . (آل عمران : ١٨٦) .

ولقد وجدنا ، حسب خبرتنا المهنية المتواضعة ، أن المؤمنين الحقيقيين ، وهم القلة النادرة ، ليسوا فقط صابرين على ما أصابهم من بلايا ،

بل في منتهى الراحة النفسية ونكاد نقول السعادة، ف ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾  
 يتلى المؤمن الحق على قدر احتماله وطاقته النفسية، ويغفر له ويجزيه عن  
 كل ما ابتلي به في هذه الدنيا أجمل الجزاء يوم الحساب. وروي عن الرسول  
 الكريم قوله: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى  
 يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة» (الترمذي). وروي الترمذي عن علي رضي  
 الله عنه قال «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ  
 ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ قال وسأفسرها  
 لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت  
 أيديكم، والله أكرم من أن يشي عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى  
 عنه في الدنيا فإله أكرم من أن يعود بعد عفو».

### ٣ - المصيبة الجزاء

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ مِنْ آسَافٍ عَلَيْهِمْ غَاصِيَا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ  
 الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠). وروي عن الرسول  
 الكريم قوله: «إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ  
 رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. والمعنى الثالث  
 للمصيبة أنها قد تكون جزاء عن أعمال غير صالحة قام بها الإنسان أو  
 الجماعات. فالمولى يمهل ولا يهمل، والظالم لا بد أن يلقي جزاء أعماله في  
 الدنيا والآخرة ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾. وكل مسيء وظالم في هذه  
 الدنيا يقرُّ علناً أو ضمناً في قرارة نفسه بأن ما أصابه من مصائب في هذه الدنيا  
 إن هو إلا الجزاء العادل بل الرحيم لما اقترفت يده، وإن أنكر هذه الحقيقة  
 في العلن وبين الناس.



## ٤ - المصيبة كدواء

والمعنى الرابع للمصيبة أنها قد تكون دواء للفرد بإعادته إلى طريق الخير وسبل الإيمان: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وكثير من الناس استشفوا من خلال ما حل بهم من مصائب معنى سامياً قادهم إلى الإيمان الصادق. أما المكابرون، ممن جعلوا آلهتهم أهواءهم وأضلهم الله على علم سبق عنده بما في نفوسهم حاضراً ومستقبلاً فلا فائدة ولا دواء لهم مما يصيهم من بلايا في هذه الدنيا: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٥ - ٧٦).

## ٥ - المصيبة كنتيجة لأوامر النفس الأمارة بالسوء

(المصيبة من نفسك)

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

يعرف أكثر الناس أن الزنى والمسكر هما اللبب لما يقرب من سبعين مرضاً ومصيبة قد تحل بهم، ورغم ذلك يشربون الخمر، ويذنون عن سابق علم ومعرفة، كما يعرف أكثرهم أن زواج الأقارب من أهم الأسباب في انتقال الأمراض الوراثية، ومع ذلك يتزوجون من أقاربهم. وإن الإفراط في المأكول والمشرب هو من أهم الأسباب في ارتفاع الضغط الشرياني وتصلب الشرايين القلبية والدماغية ومرض السكري وتراهم مع ذلك متخمين في المأكول والمشرب. ولو اتبعوا تعاليم الهدى القرآني لما أصابهم ما كسبت أيديهم من أمراض: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (طه: ٨١) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ

عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ (المائدة : ٩٠) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ  
النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ (يونس : ٤٤) بل إن أغلب البلياء  
والمصائب التي تحل بالفرد والمجتمع هي نتيجة لما كسبت أيدي الناس :  
﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ . . ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿ (الروم : ٤١) .

## ٦ - المصيبة كنتيجة لجهل الإنسان

(المصيبة من جهلك)

لذلك أمر المولى بالعلم وكرم العلماء وحض الناس ممن لم يأخذوا حظاً  
من العلم على سؤال أهل الاختصاص في كل باب من العلم ، وبالإعراض  
عن الجاهلين كي لا يقع الإنسان في المصائب نتيجة جهله أو جهل الآخرين  
وعدم اخذه أو اخذهم بالأسباب ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ﴿ وَقُلْ  
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . . ﴿ قُلْ هَلْ يَتَخَوَّرُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿  
﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنْ  
الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وفي الحديث الشريف : «أخذ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا  
تكن الخامس فتهلك» .

## ٧ - المصيبة قد تأتي من الغير

(المصيبة من غيرك)

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ  
رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السُّجُنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (يوسف : ٤٢) .

يجد المتفكر الباحث في خصائص المخلوقات ، أن في كل ما خلق

المولى من مخلوقات ميزات خيرة وميزات مؤذية، مبحان حكمته في خلقه التي لم يدرك كنهها إلا القلة القلة من «العارفين» ولقد أمرنا المولى أن نلتجئ إليه، من خلال تعاليمه في كتابه الكريم لاتقاء البلاء والمصائب التي قد تأتي من الغير: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس).

## ٨ - المصيبة قد تكون لخير الإنسان

(المصيبة لخيرك)

والمعنى الثامن للمصيبة أنها قد تكون لخير الإنسان ولكن عدم معرفة الإنسان بالغيب، وبما سيكون عليه المستقبل يجعله يشور ويعترض على الواقع، ويعجز عن فهم معنى البلية. ولو أطلعنا بما روي عن الرسول الكريم لأطمأنت نفسه: «لو أطلعتم على القلوب لأخبركم الواقع». ولو فهم بعد المعنى وعمق المقصد في حوار موسى مع العبد الصالح في سورة «الكهف» والتي تتكرر أحداثها بصور مختلفة كل يوم لشكر الله وحمده على بلائه.

لقد عجز منطق موسى عليه السلام، وهو كليم الله ونبي من أولي العزم، أن يفهم الحكمة من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، وكذلك أصحاب السفينة والدي الغلام، أما عندما تكشف الحجب عن الحقيقة ويعلم أصحاب السفينة أنهم كانوا سيفقدون مصدر رزقهم لو لم يعبها العبد الصالح، لأنه ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فيقولون الحمد لله على هذا الضرر الذي كان لخيرنا. وكذلك بالنسبة إلى موت الفتى، إذ كان موته رحمة به فقد دخل الجنة، إذ قتله العبد الصالح قبل أن يبلغ سن الحساب، ورحمة بوالديه المؤمنين والذي كان ﴿سَيِّئَهُمَا طَغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

كم من الآباء من الذين علقوا كل آمالهم في الحياة على ولد فغيب  
 آمالهم وكان عدواً لهم ، يتمنون لو أن قصة سيدنا موسى والعبد الصالح  
 والغلام حصلت معهم ، أو لو كان على الأقل ابنهم العاق هذا مريضاً من  
 المعاقين والمتأخرين عقلياً كما نسمع من لسانهم .

وهكذا إذا استعرض المؤمن بعين البصيرة مصيبة حلت به أو بغيره  
 وتفهمها على ضوء هذه المقاييس القرآنية الثمانية لهوية المصيبة اطمأنت  
 نفسه إلى مصيره حاضراً ومستقبلاً وأبعد عنها القلق والخوف، والثورة ضد  
 الذات والغير والقدر، فقدر الإنسان بيد الله الذي يغير فيه بحسب أعمال  
 الإنسان إلا الأجل فلا تغيير فيه . فليتوكل الإنسان المؤمن ، توكلأ صادقاً ليس  
 كيفيأ اعتبارياً على العزيز الرحيم وسيرى أنه سيكون من المطعنين  
 السعداء . . .

كم من مرضانا وأهلهم وبعد أن شرح لهم تدريجياً ومن زاوية إيمانية  
 معنى المصيبة في قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
 أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ الْبَشَرَ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْإِسْمَ وَاللَّهُ يَسِيرٌ لِكُنْ لَا تَأْسَوْا  
 عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد: ٢٢ - ٢٣) تقبلوا مصائبهم  
 عن طيب خاطر بل رضى ودون استسلام يائس أو ناثر ضد ما يسمونه القدر،  
 فالمولى سبحانه وتعالى من صفاته أنه الحكم العدل الرحيم ﴿ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ  
 شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . . . وإن لم يفهم المؤمن معنى المصيبة  
 التي حلت به فهو سيعلم لاحقاً معناها : فليصبر : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا  
 وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾  
 (البقرة: ٢١٦) .

## المرتكزات والأسس للمعالجة النفسية بواسطة الإيمان أو طريقة السلوك الإيماني العلاجي

### ١ - إنها تجربتي الشخصية

إنها تجربتي الشخصية مع الإيمان، لقد درست الطب العام وتخصصت في الأمراض العصبية والعقلية والنفسية، ودرست وطببت وتناولت مختلف الوسائل العلاجية من استرخاء وتنويم ذاتي، وعقاقير مهدئة للأعصاب علي أجد في ذلك شفاء لقلقي النفسي من عقد الموت فلم أجد إلا قائلة وقتية. حاولت أن أغرق قلقي النفسي من عقد الموت فلم أجد إلا قائلة وقتية. حاولت أن أغرق قلقي النفسي وخوفي على مصيري بفصر الحياة هذه (لأنني لم أكن أوقن بحياة أخرى فاضلة) بالتعرف إلى شتى أنواع النشاطات التي يدعونها بالاجتماعية وهي في أكثرها أقرب إلى اللغو ومضيعة الوقت دون طائل، فماذا كانت النتيجة؟ ركض لاهث وراء ما كنت أعتقد السعادة، وتبين لي أن كل ذلك لذات آنية مصحوبة في أكثرها بالألم، ومحاولات متكررة للهروب والتستر من عقدي النفسية وأهمها عقدة الموت، من دون جدوى أو لبعض الوقت فقط، إلى أن تبين لي أن سلوك الإيمان الصحيح هو الذي يعطي السعادة الحقيقية الدائمة والأمل المشرق والمطمئن بحياة أخرى أفضل من هذه الحياة الزائلة. فالإيمان العلمي المنهجي اليقيني بالله والتزام تعاليم كتابه وسنة رسوله هو الذي حللني من عقدي النفسية الدفينة وأولها عقد الموت

والخوف منه ، وعقد النقص والتعالي وحسب الجاه والمركز ، وعقد هم الرزق  
وخوف المستقبل وعقدة حب المال وعبادته !!!

أنا منذ عرفت الإيمان قرير العين لا خوف من موت بالسكينة القلبية أو  
بنزيف دماغي صاعق ، ولا خوف من تورم سرطاني في الدماغ أو شلل شقي ،  
أو إصابة برصاصة طائشة قاتلة أو بصاروخ مدمر ، ما دام الموت هو بيقيني  
منذ تمررت بملوك الإيمان ، انتقال من حياة دنيا زائلة إلى حياة فضلى  
خالدة ، وإلى أن قضائي وقدري هو بيد المولى الذي جعلته وليي وهو أرحم  
الراحمين . وقد طمأنني في كتابه الكريم بأنه ﴿ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وأنه  
﴿ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحيماً ﴾ وأنه هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَأَنْ ﴿ وَلَآ خِزْيَ لَكَ مِنَ  
الْأُولَى ﴾ وأن ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾ وأنه  
﴿ يُذَكِّرْكُمْ الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشْتَعِلَةٍ ﴾ وكل إنسان ، مهما كانت مهنته  
وعمره معرض في كل لحظة وخاصة عندما يدخل نفسه لأفكار تخوفية لا يجد  
حلاً جذرياً لها إلا بالإيمان أو حلاً **وقد تأخذ المسكنات والمنومات والتردد**  
إلى عيادات الأطباء .

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

لم يعد أولادي الثلاثة يشعرون بالخوف ، منذ أن عودتهم وهم صغار  
على الصلاة ، وشرحت لهم معناها ومعنى كلمة «الله أكبر» وبأنه أكبر وأقوى  
من أي شيء يخوفهم سواء أكان حبة أو وهماً في أذهانهم ، لم يمدوا  
عرضة للنوم المتقطع ، أو الأحلام المزعجة أو الكوابيس ، أو القيام وسط  
الليل والاندساس في فراشي أو فراش والدتهم ، أو عدم القدرة على النوم إلا  
في فراش والدتهم وهي بقربهم حتى يناموا ، كما يفعل الأولاد معن أعالج  
يومياً ، ومنهم من يبقى على عدم القدرة على النوم إلا في فراش والدته حتى  
المراهقة ، وكلها أعراض تدخل في حقل اضطراب النوم عند الأطفال  
والأولاد وما أكثرها ، ولا شفاء لها إلا بوجود جو عائلي إيماني صحيح .

وولدي الأوسط ، عمره عمر الحرب الأهلية في لبنان تجاوز بنجاح

وشفاء تام، الخوف الطبيعي من أصوات الرصاص والمتفجرات الذي فرضته ظروف قاهرة ظالمة، بعد أن شرحت له من واقع ديني إيماني معنى الموت، ومصيره بعد الموت، وكيف أن طاعة الله والصلاة تنجيه وتحميه من كل ما يخيف، فأصبح لدى سماع أية انفجارات وما أكثر ما سمعها، يصرخ «الله أكبر»... ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ وكان هذه الكلمات هي السحر العجيب لكل ما كان يعانيه من آثار الخوف من اضطراب ورجفة واصفرار في الوجه وتسارع في ضربات القلب وضباب حتى فقدان الوعي، على حين أن الكبار ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، تراهم يتسارعون إلى الملاجئ خوفاً ورعباً، وهو يضحك بعفوية وطيبة صائحاً بهم: «صلوا ما بتعودوا تخافوا»!!!

أجل لقد تخلصت وبفضل الإيمان وأنا على أعتاب الخمسينات من العمر، مما هو برأيي مُنقصر في كل دقيقة أو ثانية لحياة الفرد العادي، عبت بذلك حرقة الطلب في طلب الحصول على الأشياء، أو التعلق بها. فلا المال ولا اللذات ولا الجاه ولا المركز ولا الأولاد يسعدوني أو أسعدوني، كل ذلك متاع زائل، ولكن التسليم لله والإيمان به وبكل ما قضى وشرع، جعلني سعيداً راضياً في دنياي الحاضرة، قريب البال بالنسبة لغدي ومماتي وما بعده!!

لقد أوصلني إلى الطمأنينة - (أي السعادة)، سلوكي لطريق الإسلام الصحيح ودراستي علمياً لتعاليمه ونظيقتها، فوجدت بعد الممارسة أني في الطريق الذي يسعد، فبدأت منذ سنوات بإرشاد أصدقائي ومرضي المتعبين نفسياً وجسدياً إليه، إلى طريق الإيمان الصحيح، طريق السعادة. وأمل في هذا الكتاب أن أعمم التجربة لمن أراد أن يؤمن: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

## ٢ - إنها تجربتي المهنية مع الإيمان

قبل أن أرتمي في أحضان الإيمان وأجد السعادة، مارست الطب العام

والطب المعصبي والنفسى خلال خمس عشرة سنة، وذهلت خلال ممارستي هذه من العدد الكبير للمرضى الذين يطرقون عيادتي أو يدخلون المستشفيات، لعوارض تافهة برأي أكثر الأطباء، ولم أعد أجدها تافهة في ما ترمز إليه من خلال أحاديثي المطولة مع هؤلاء المرضى، فهي أعراض طبية بسيطة في مظهرها، لكن جذورها ترجع في أكثرها إلى الخوف من الموت، وما إن يطمئن المريض إلى أن ما يشكو منه ليس له علاقة بمرض عضال خطر هو بنظر العامة السرطان أو الأمراض القلبية أو الشلل، حتى يشفى ولو دون دواء أو أي دواء ذي فائدة وهمية. فأكثر المرضى عندما يطرق أحدهم باب عيادة الطبيب يريد أولاً شعوراً أو لا شعوراً أن يطمئن على ذاته من خطر الموت (وكان باستطاعة أحد في العالم أن يمنع الموت عند حلول الأجل المحتوم) قبل أن يسأل عن العلاج، وكلنا يعلم كم من المرضى العصبيين يدخلون المستشفيات بصورة طارئة، وبعد دقائق أو ساعات قليلة من المصل وحقنة مهدئة وفحوصات مخبرية ولعناية مطمئنة يشفون بقدرة قادر. إنه الخوف من الموت، فالطبيب والمستشفى هما «الرقية» باعتقادهم من الموت! إنه اعتقاد خاطئ، وعشرات المرضى من هذه النوعية ندعوهم بالموسوسين يطرقون أبواب الأطباء. والمشعوذين من مدعي علم الطب الروحي، متأطنين أكداماً من الصور الشعاعية والتحليل المخبرية، عارضين العشرات من الأدوية والوصفات الطبية والتدابير الاستشفائية لدخولهم المستشفيات المتعددة، مُعذِّبين، ومعذِّبين لأهلهم ومحيطهم الأمرى، كلما اختفت أعراض مرضية وظيفية من عضو في جدهم، ظهرت أعراض في موضع آخر، ينتقلون من عبادة إلى أخرى ومن مستشفى إلى آخر طلباً للعلاج، وهؤلاء هم في الحقيقة يفرون من عقدة خوف الموت المتأججة عندهم، ولا شفاء لهم برأيي إلا من خلال معالجة نفسية تحليلية مركزة ومستبلة إلى معطيات الإيمان الصحيح. إنهم أصعب المرضى معالجة، هم كابوس الأطباء، وهم



بضاعة وتجارة مربحة لبعض الأطباء من الذين لا يربطهم ضمير مهني أو وازع إيماني .

### ٣ - مرتكزات طريقة الإيمان العلاجي

كل طبيب نفسي ، شرط أن يكون مؤمناً قولاً وممارسة ﴿ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ وعلى حفظ واطلاع واسع وفهم عميق للكتب السماوية المنزلة ، يستطيع أن يمارس طريقة الإيمان العلاجي بالعمق أو السطحية حسب درجة عصاب مرضاه واستعدادهم لتقبل الإيمان ودرجة ثقافتهم ومستواهم العقلي واتزان شعورهم ونوعية عقدهم التي تحكم بظواهر أعراضهم المرضية النفسية . ويجب أن نشدد هنا على ناحية مهمة جداً ، إذ قبل أن نحاول السير بالمرضى النفسي بطريقة العلاج الإيماني ، يجب أن يقبل هو بطريقة علاجية كهذه ، ومتى قبل تحليل ظواهر وخطايا عقده النفسية على ضوء التعاليم الإيمانية ، وجب إقناعه علمياً ومنطقياً وجدلياً بثوابت لا بد منها هي الإيمان بالله والقرآن الكريم والحديث الشريف ، إذ لا إيمان بالإكراه أو بدون إقناع ، ولا شفاء من مرض نفسي ~~تفكيكه~~ <sup>تفكيكه</sup> ~~المرضى~~ <sup>المرضى</sup> فناعة تامة بتعاليم الله التي هي تعاليم العلم والمنطق عينه . والعلم والمنطق هما سبيل الدخول إيمانياً إلى قلب الإنسان ، ومن خشع قلبه بعد أن أبقن عقله ، خشعت وانقادت جوارحه للتطبيق « لو خشع قلبه لالتزمت جوارحه » . فطريقة العلاج التي ندعوها بالتحليل النفسي الإيماني يجب أن تركز إلى معطيات العلم والمنطق الموجودة في القرآن الكريم والحديث ولا شيء يفتن العقل بالإيمان كالعلم والمنطق !

### ٤ - كيف نبداً

نعرض على كل مريض عصابي جاء يطلب حقاً علاجاً شافياً وليس مؤقتاً للأمراض المزعجة التي تنغص عليه حياته ، بعد أن تحقق خلال سنوات ، وبعد مروره بأكثر عيادات الطب النفسي من أن لا شفاء بصورة دائمة

لاعراضه النفسية، أن يبدأ ممارسة طريقة العلاج الإيماني . ونحاول من خلال حوارنا مع المريض، وعلى ضوء العقد النفسية التي تتحكم في الأعراض التي يشكو منها، والفائدة التي يحصل عليها أن نرى مقدار استعداده، للتخلي لا شعورياً عن أعراضه الظاهرة التي يريد الشفاء منها، إذ في بعض الحالات كعصاب الهستيريا وغيره لا يريد المريض ذلك كما أن كثيراً من الأعراض النفسية هي بالنسبة لبعضهم مصدر ابتزاز للغير أو تلبية لرغبات ونوازع دنيئة أو ظاهرة لا يريد المريض حقيقة أن يتخلى عنها . وعلاج مرضى كهؤلاء يتطلب الكثير من الوقت بل إن كثيراً منهم يرفض المعالجة بهذه الطريقة لا بل يسخر منها أو يقطعها بعد عدة جلسات .

## ٥ - استطبائاتها

أكثر حالات العُصاب كعُصاب القلق وعُصاب الخوف وعُصاب الوسوسة أو داء السلوك الجبري وعُصاب الشُّغْطية، والقلق النفسي بظواهره النفسية والعضوية، هي من استطبائات العلاج النفسي الإيماني .

ونحن من خلال معالجتنا التحليلية الإيمانية للمريض نحاول أن ندرج به علمياً إلى أن يؤمن ويوقن بأن القرآن الكريم هو كتاب الله وتشريعه، وهذه الحقيقة لا نفرضها على المريض فرضاً بل عن طريق العلم والمنطق . فالإنسان لا يطبق تطبيقاً سليماً وصادقاً تعاليم الله، وينصاع لما أمر به إلا إذا أقتنعه علمياً ومنطقياً ولم يفرض عليه فرضاً دينه كسلّمات .

الهداية والضلال هما عرض وتقديم وليس فرضاً في كتاب الله الكريم

لم يؤمن بعض الأصدقاء ممن سلكنا بهم طريق الإيمان، ويتقلوا من خانة المسلم بالهوية واللسان إلى خانة المؤمن الممارس الأخذ بالأركان، إلا بعد أن اقتنعوا علمياً بأن القرآن الكريم هو منطقياً كلام الله، فمن قال منذ خمسة عشر قرناً ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ثم جاء العلم في

القرن العشرين يقول إنه ثبت علمياً وبصورة قاطعة جازمة أن الكون هو في توسع دائم ، هو القائل ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . وكيف يمكن لعقل سليم أن يأخذ بالآية العلمية الأولى وهي يقين علمي اليوم ، ولا يوقن بالآية الثانية وهي غيب ، والمصدر واحد؟ لا يفعل ذلك إلا المفرضون أو المهتزون في طريقة التفكير السليم ممن ندعوهم بالانفصامين من مزدوجي العقل والمنطق وهؤلاء لا ينفع معهم أي منطق أو حجة .

كيف يعقل أن نقول صدق الله أصدق الفاتلين ونحن نقراً ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّدُوعِ ﴾ وعلم طبقات الأرض وأعماق المحيطات بين لنا اليوم في القرن العشرين فقط ، بالصورة والمنظر الحي كيف أن الأرض وأعماق المحيطات متصدعة وتتصدع قشرتها كل ثانية ، ولا نصدق وتؤمن ونوقن بأن ﴿ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴾ تنبت في أعماق الجحيم وأن ﴿ طَلْعُهَا كَرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ ﴾ وأنها ﴿ طَعَامُ الْإِثْمِ ﴾ ، اليس مصدر الاثنين واحد؟ وكيف يكون المصدر صادقاً في الأولى ، عفوك يا رب ، ولا يكون صادقاً في الثانية؟ كيف نأخذ بالأولى وتتأسى الثانية؟ بل إن بعض ضعيف الإيمان من المسلمين يقولون بأن الغيبات من جنة وتار وأوصافها هي صور معنوية ، كلا يا سادة بل حية ، فلقد كانت بنظر البعض ﴿ وَالسَّمَاءُ بَنِينَهَا بَاقِيَةٌ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ صورة معنوية حتى أثبت العلم أنها حية !

إنها دائماً طريقة علمية منطقية . نضع أمام المريض حقيقة علمية قرآنية سبقت العلم بسنين أو قرون ، وبحسب مستوى المريض العلمي والثقافي ، ثم نضع مقابلها الآيات غير العلمية من تشريعية وتنقيفية وغيبية والتي يجب أن يؤمن بها المريض ليتخلص من عقله وتركه يقابل بين الآيات ، ومتى اقتنع الإنسان أو المريض علمياً ومنطقياً بأن القرآن الكريم ، هو كلام الله وجاهد نفسه وأهواءها ، فهو في بداية طريق الإيمان ، طريق الشفاء والسعادة الحقيقية .



## الفصل الثامن

### النوم في المنظار العلمي والمفهوم القماني



﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِنْ  
فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(الروم : ٢٣)

ولم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا وما  
المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة .

(حديث شريف - رواه البخاري)



## ١ - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ...﴾

النوم ضرورة حياتية لجميع الأحياء، فكل مخلوق حي يفقد النوم أو نمنعه منه، لا يلبث عاجلاً أن يموت. ولقد بدأ العلم منذ مطلع القرن العشرين (١٩٣٧) يكشف تباعاً الأبعاد العلمية والدقائق التشريحية والوظيفية والكيميائية التي تتحكم بعملية النوم. إلا أن العلم وحتى كتابة هذه السطور لم يتوصل بعد إلى معرفة المسبب الأول الذي يجعل أجسام المخلوقات الحية تفرز مواد كيميائية تؤثر على مراكز النوم الموجودة في الجهاز العصبي المركزي وتجعل من هذه المخلوقات تنام وتصحو، فالعلماء لن يدركوا الكثير من الحقائق التي يدرسونها، ومنها النوم إلا إذا سلموا بوجود الروح، سر الخالق وأمره في المخلوقات وعلة الحياة فيها.

واضطراب النوم، وجه من وجوه القلق النفسي المتعددة، هو مع القلق، القاسم المشترك لأكثر الأمراض النفسية والعقلية واضطرابات الشخصية: (فلقد جاء في الإحصاءات أن اللبنانيين قد استهلكوا في سنة ١٩٨٤ ما يقرب من مليون علبة دواء منوم ومهدى، للأعصاب، أي بمعدل علبة لكل ثلاثة أفراد، وهذا الاستهلاك له ما يبرره في الحرب اللبنانية، واستهلكته فرنسا سنة ١٩٨٢ ستة وخمسين مليون علبة دواء من المنومات، و ٧٠ مليون علبة من المهدئات، وهناك فرد من خمسة في الولايات المتحدة

يعاني من اضطراب في النوم، ويصرف الأميركيون سنوياً ٣٤٠ مليون دولار تقريباً ثمناً للأدوية المنومة والعسكرة فدواء الفاليوم - مهدئ الأعصاب المعروف - هو أحد خمسة أدوية من الأكثر مبيعاً في العالم). تكفي هذه الأرقام، لتبين أن القلق النفسي، ومن مظاهره اضطراب النوم، يلف الإنسانية من أقصاها إلى أدناها، فالطمأنينة، وأعلى درجاتها السكينة ومن مظاهرها النوم الهادئ، العميق المريح، وفيه أمانة أي راحة الجسد والنفس والروح، لا يمنحها الباري عز وجل، إلا لمن اتبع تعاليمه والتزم بها من المؤمنين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٤).

## ٢ - مراحل النوم كما كشفها العلم

منذ سنة ١٩٥٥، وبعد دراسة عشرات الآلاف من حالات النوم في مختبرات النوم العلمية حيث يسجل مخطط الدماغ الكهربائي للنائم مع حركة تنفسه وعينه وغفلاته، قسم العلماء النوم إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الدخول التدريجي في النوم، وتؤلف ٢ - ٤٪ من مدة النوم الكامل.

المرحلة الثانية: مرحلة النوم الخفيف غير العميق الذي يؤلف ٥٠٪ من مدة النوم الكامل.

المرحلتان الثالثة والرابعة: مرحلة النوم البطيء العميق العادي الهادئ، وهي مرحلة النوم المريح أي نوم الأمانة والطمأنينة وتشكل ٢٠٪ من مدة النوم الكامل.

المرحلة الخامسة: مرحلة النوم العميق المصحوب بالأحلام والحركة



أو النوم العجيب، لأن النائم خلال مرحلة نوم الأحلام يكون تخطيط الدماغ الكهربائي وحركة التنفس والدورة الدموية وحركات العين كما لو كان في حالة اليقظة رغم أنه في نوم عميق جداً. وربما كان هكذا نوم أهل الكهف والله أعلم ﴿وَنَحْنُ بِهِمْ أَيْقَاظٌ وَهُمْ رُقُودٌ...﴾ ومدة هذا النوم العميق العجيب نوم الأحلام تشكل ٢٥٪ من مدة النوم الكامل.

ولقد ثبت أن أكثر الناس لا يدخلون في مرحلة النعاس أي النوم العميق سواء كان النوم العميق العادي أو النوم العميق المعجيب نوم الأحلام، إلا بعد المرور بمرحلة النوم التدريجي. كما ثبت أن مراحل النوم العميق وهي تشكل ٤٥٪ من مدة النوم الكامل هي مراحل النوم المريح لجميع وظائف أجهزة الجسم والقوى العقلية من ذاكرة وقوة استيعاب وقدرة على التفكير. ويختصر كل ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ يُفْثِكُمُ النَّعَاسُ أَمَةً﴾ أي إذ يغطيكم ويخلفكم في النوم العميق الذي يعطي الأمان والطمانينة (الضوية: النعاس هو النوم العميق، وقد وصف المولى النعاس بأنه استراحة جسدية ونفسية وعقلية: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ رَبِّيٌّ فَاصْبِرُوا﴾ (آل عمران: ١٥٤). وجاء العلم اليوم يثبت أن النعاس أي النوم العميق ويشكل نصف مدة النوم، هو النوع المريح من النوم للنائم . . .).

### ٣- الموتة الكبرى والموتة الصغرى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

لكلمة الوفاء قرآنياً معنيان :

أ- الوفاة الكبرى أي مفارقة الروح كلياً للنفس والجسد إلى يوم البعث حيث تزوج الروح بالنفس والجسد من جديد ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

فالقرآن الكريم فرّق تفريقاً واضحاً بين النفس والروح والجسد كما أشرنا إلى ذلك في بحث سابق .

ب - الوفاة الصغرى : وهي النوم وفيه تفارق الروح النفس والجسد جزئياً وليس كلياً، وهذا المعنى لا يعرفه إلا القلة مع أنه واضح من خلال قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . ومن دعاء الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ما روي عنه قبل استسلامه للنوم : « اللهم بك أحيأ وبك أموت وإليك النشور » . وعند يقظته : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » (الترمذي - البخاري) .

ولقد بين العلم اليوم أن جميع أعضاء الجسم تعمل بصورة بطيئة خلال النوم ، كما أن أكثر الثوابت في الدم من هرمونات ومواد كيميائية أخرى تتغير خلال النوم ، وليس من تعليل علمي حتى الآن لهذه التغيرات ، وقد لا يجد العلم تعليلاً لكثير من ظواهر النوم ، ومنها الأحلام إذا لم يسلم جدلاً بوجود الروح . ونحن نعتقد من زاوية إيمانية أن الروح ، خلال النوم ، تترك الجسد والنفس جزئياً وليس كلياً وتنقل إلى مكانها في النوم ، فالنوم هو وفاة صغرى للجسد والنفس فقط و يرجوع الروح جزئياً إلى خالقها خلال النوم ترتاح النفس وكذلك مختلف أعضاء الجسم وتستعيد نشاطها خلال النوم ، ذلك أن الروح وهي العلة الأولى أي المسير الأول للنفس والجسد ، ومن خلال تواجدهما فيهما تتعبهما ، وبالنوم ترتاح دورياً أجسام المخلوقات من هذا السر الإلهي الهائل القوة ، علة الحياة في المخلوقات . ودليلنا القرآني على ثقل وقع الروح على الجسم والنفس هو الآتي :

١ - كان عليه الصلاة والسلام كلما أتاه ملاك الوحي بالتنزيل ، يتفصّد عرقاً ، أو يُسمع عند أذنيه طنين كطنين النحل ، ويبقى مجهداً لبعض الوقت حتى يسري عنه . [سأل الحارث بن هشام رضي الله عنه ، رسول الله فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحياناً يأتيني مثل

صَلْصَلَةُ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتَ عَنْهُ مَا قَالَ . . . . . (البخاري).

روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : وكان إذا نزل على رسول الله الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل . . . . . [٢٠٠٠].

٢ - للقرآن الكريم صفات كثيرة، منها صفة الروح وقد وصفه المولى أيضاً بأنه ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي يتقل حمله على من ينزل عليه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ . قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل : ١ - ٥) . ﴿يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَيْنَادِهِ أَنْ تُنْزِلُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل : ٢) .

إذن فالقرآن الكريم هو روح ، بل أعلى درجات الروح ، وقد كان يتقل حمله على من تنزل عليه ، الرسول الحبيب عليه السلام . وأرواحنا التي هي امر المولى ، أي قوله الذي به تحول الطين إلى إنسان يتقل حملها بصورة دائمة في أجسامنا وأنفسنا ، وفي النوم يرتاح الجسم والنفس وقتاً من ثقلها !

ومن دون الأخذ بالناحية الروحية ، في فهم أسرار النوم ، لن يستطيع علماء النفس أن يفهموا في العمق أسرار النوم واضطراباته ومسبباته : فبعض المرضى الذين يشكون من فقدان النوم أو اضطرابه لا يرتاحون نفسياً بتناول الأدوية المنومة أو إرغامهم على النوم بواسطة المواد الكيميائية لمدة أسبوع أو عشرة أيام ، وعندما يرفع عنهم تأثير الأدوية المنومة يصرحون بأنهم لم يرتاحوا من نومهم الاصطناعي هذا بل ازدادوا تعباً ومرضى ! لماذا ؟ ذلك بأنهم لم يفهموا بعد بأن النوم هو أمانة من الله أي نعمة ورحمة ، وأن فقدان النوم عند بعض الناس قد يكون جزاء لما اقترفته أيديهم من سوء ، فليأخذوا ما طاب لهم من المهدئات والمنومات فلن يجعل الله في نوم اصطناعي كهذا هو

من صنع يد الإنسان راحة وأماناً ما داموا لم يلتجئوا بقلوب ثائرة مؤمنة إلى الذي بيده مفاتيح الرحمة والنوم رحمة من الله .

وعبثاً حاولنا من خلال تجربتنا العلاجية لهؤلاء المرضى من مضطربي النوم وفاقديه ، أن نداويهم بالعقاقير المنومة ، فلقد ظلوا يشكون من نوعية النوم ونوعية اليقظة ، إلى أن يَسُرَّ الله لنا أن نفهم ونفهم الغير ، أن الإيمان بالله هو أحسن الطرق وأسلمها للوصول إلى النوم الآمن الذي فقلوه .

والتنويم المغنطيسي ( التسمية غير موقفة ونحسب تسميته بالتسيير الإيحائي ، لأنه ليس نوماً من الوجهة العلمية ) رغم وفرة استعماله في شتى حقول الجراحة والمعالجات النفسية لم ولن نفهم ألياته إلا إذا آمننا بوجود الروح ، فالتنويم المغنطيسي هو في الحقيقة تسلط روح المُنوم على المُنوم ؛ لذلك كانت صحوة المُنوم من نومة التنويم المغنطيسي متعبة جداً ، ومن هنا خطورة التنويم المغنطيسي إذا بقي بين يدي أكثر الناس ، إذ يجب حصر استعماله في العلماء ممن هم على درجة عالية من الثقافة الروحية والالتزام الإيماني والأخلاقي .

#### ٤ - الروح مفتاح الشعور والإحساس بالألم

ومن هذه الزاوية بالذات نفهم بعض الخوارق التي تتأني على يد الصوفيين الحقيقيين أي الروحانيين الذين يستطيعون أن يدفنوا أنفسهم بدون طعام أو شراب مع قليل من الهواء في نوايت زجاجية محكمة لمدة أسابيع ، ثم يعودون من نومهم الطويل هذا أو موتهم الصغرى إلى الحياة ، إنها مسألة إيمان بالله والروح ، وممارسة يومية للطرح الروحي خارج الجسد . ولا ننصح العامة بسلوك هذه الرياضة الخطرة ، إنها مسألة إيمان أولاً وتيسير من المولى الذي وهبهم هذه القدرة الخارقة . وسبحان الذي يزيد في الخلق ما يشاء ، ليبين لبقية الخلق من عباده بعضاً من أسرارهِ وقدراتهِ !!

واليوم وقد تبين لعلماء التشريع وعلماء وظائف الأعضاء أكثر العوامل الفيزيائية والكيميائية التي تتحكم في الألم وتسيبه، تبقى حلقة ضائعة لم ولن يتوصلوا إلى فهمها إلا من زاوية إيمانية روحية بحتة؛ فاختلاف الإحساس والشعور بالألم بين إنسان وآخر، بالرغم من أن العوامل المسببة للألم قد تكون واحدة، يرجع سببه إلى الروح، فهي التي تتحكم في مقدار الإحساس والشعور بالألم. وبقدر ما يسمو الإنسان بروحه ويهذبها ويخلصها من التعلق بشوائب الجسد ومتطلبات النفس. يخف إحساسه بالألم وتكثر سعادته وطمأننته. ومن اطلع على حياة المرضى من المثالمين وأذهله الفرق الهائل في الإحساس والشعور بالألم بين مريض وآخر مع أن المرض واحد، يعي البعد الروحي الإيماني المؤثر بالإحساس لكل ما يؤلمنا، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

ولقد روي عن أحد الصالحين أنه أصيب يوماً بالتهاب في أحد أطرافه السفلى أوجب بتره، ولما طلب الأطباء منه شرب الخمر حتى الغيوبة لكي لا يتألم، (لم يكن التخدير قد عرف بعلمهم في ذلك الوقت) فبكتفى بأن أدخل جسده في غيوبة روحية هي عبارة عن طرح للروح خارج الجسد، فبتروا ساقه دون أي إحساس بالألم. ولما رجع إلى وعيه أنبأوه أن ابنه الأكبر قد قتل وهو في الجهاد فكان رده الماثور: والحمد لله الذي أخذ ولداً وسلم أولاداً وأخذ عضواً وسلم أعضاءه.. اللهم أسبغ علينا شيئاً من إيمان هذا العبد الصالح.

## ٥ - وقفة موجزة مع الأحلام

وكما أن العلم لن يفهم في العمق أسرار النوم مادام لم يسلم بوجود الروح، كذلك بالنسبة للأحلام. فمن الوجهة الإيمانية هناك نوعان من الأحلام:

١ - الأحلام الغيبية الصادقة وهي إشارات من المولى إلى النائم ومنها

أمر سماوي واضح لا يتطلب التأويل كرؤيا سيدنا إبراهيم الذي أمره المولى  
 في المنام بذبح ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ  
 يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . . . ﴾ (الصافات :  
 ١٠٢) .

- وكذلك رؤيا الرسول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِذْ  
 يَبْرِكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا . . . ﴾ (الأنفال : ٤٣) .

α - ومنها أحلام غيبية صادقة غير واضحة تتطلب التأويل : كرؤيا سيدنا  
 يوسف عليه السلام ورؤيا صاحبي السجن . مع يوسف ورؤيا ملك مصر أيام  
 كان يوسف مسجوناً ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ  
 خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ نَوْحَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأٌ بَاطِلٌ  
 إِنَّا آنَا مِنَ الْمُحْضِينَ ﴾ (يوسف : ٣٦) وتأويل هذا النوع من الرؤيا هو عطاء  
 من الله لا يعلمه إلا القليل : ﴿ . . . وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ . . . ﴾  
 (يوسف : ٢١) .

﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنَ أَمَا أُحَدِّثُكَمَا فَيَسْمِي رُبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ  
 فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (يوسف : ٤١) .

والعلم لا يستطيع إلا أن يقر بوجود هذا النوع من الأحلام الغيبية  
 الصادقة التي تحصل كل يوم، فالواقع والإحصاءات والتحقيقات الرزينة  
 تؤكد صدق وحصول ما أنبأت به لاحقاً، إلا أن العلم يبقى عاجزاً عن تعليل  
 ذلك، ما دام لم يقر ويعترف بوجود الله والروح ! أما تعليلها بنظرية الصدفة  
 فهذا منطق الإفلاس العلمي والجدلي العاجز، لذلك كان التوم والأحلام  
 يشكل ٢٥٪ منه، ومن آيات الله أي من البراهين الدالة على وجوده ﴿ وَمِنْ  
 آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاثْبَاؤُكُمْ مِنْ قُضِيِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
 يَسْمَعُونَ ﴾ (الروم : ٢٣) .

- والعلم بالرغم أنه درس الأحلام، وعرف شيئاً عن مراكزها العصبية في الدماغ وجذع الدماغ خاصة، يبقى عاجزاً عن فهم آلياتها ومسبباتها ولماذا ينسى النائم لأكثرها عند اليقظة ما دام النائم يحلم ربع مدة نومه تقريباً.

- أما إذا أسلمنا بأن الروح خلال النوم تترك الجسد جزئياً وتصلد إلى خالقها فترتاح يلقائه فتري ما يسمع المولى برؤيته وتذكره وكما يرتاح الجسد وقتياً من ثقلها ووقعها عليه، ربما فهما شيئاً من أسرار النوم والأحلام بالعمق، وربما فهما خاصة معنى الأحلام الغيبية التي لا يستطيع الواقع والعلم إلا أن يقر بوجودها!!!

وكثير من المشاكل المستعصية والاكتشافات والأفكار والنظريات العلمية وجدت حلاً خلال النوم، ربما لأن الروح بتخلصها المؤقت خلال النوم من شوائب الجسد واهواء النفس <sup>تأخذت العقل على حل ما استعصى عليه خلال اليقظة!!</sup> فالروح هي علة فهم الأشكال التي يصعب حلها في الأحياء، ومنها مسألة النوم والأحلام <sup>كثير من هذا</sup> نشأ علم جديد هو «البارسيكولوجيا» الذي يدرس في الجامعات الغربية مع علم النفس منذ عشرات السنين فقط.

- والعلم من وجهة مادية بحثة لا يستطيع أن يشرح بالعمق الآليات والمسببات للعوارض الفيزيولوجية التي تحصل في الأحلام كالتغيرات في المخطط الكهربائي الدماغية خلال النوم والأحلام، كذلك التغيرات في الثوابت الفيزيولوجية، كنضات القلب والضغط الشرياني ونسب المواد الكيميائية الموجودة في الدم وعمل سائر أعضاء الجسم، أما إذا سلمنا بوجود الروح وبأنها المحرك الأول الأساسي في كل حي، فربما استطعنا فهم الكثير عن النوم والأحلام، لذلك كان التوم من آيات الله، وما لم نسلم بوجود الروح وخالق الروح فلن نفهم في العمق شيئاً يذكر عن النوم والأحلام!

٢ - والنوع الثاني من الأحلام هو ما نسميه بالأحلام النفسية التي تنشأ عن المشاكل النفسية المستعصية سواء كانت معروفة واعية أو مدفونة في أعماق اللاوعي منذ السنوات الأولى من الطفولة . وهذا النوع من الأحلام يدرسه علماء التحليل النفسي لسبر أغوار المشاكل النفسية عند الناس والمرضى النفسيين ، فالحلم حسب تعريف فرويد هو الطريق الملكية التي تقود إلى اللاوعي ؛ إلا أن مشكلة المحللين النفسيين كفرويد وغيره ، أنهم يدرسون الأحلام انطلاقاً من نظريات مسبقة عندهم ويستعملون الأحلام تأييداً لنظرياتهم هذه ، من هنا تضارب الآراء بشأن الأحلام وقيمتها ككاشف للنوازع النفسية الدفينة عند المهتمين بهذا النوع من العلوم ؛ وعندما تتضارب النظريات نحن نتلمس الحقيقة دائماً في كتاب الله العظيم وأحاديث رسوله الكريم لذلك سنكتفي بهذا القدر من الأحاديث الجامعة التي رواها البخاري فيها كل صحيح بشأن الأحلام .

- «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» .

مكتبة تراثنا

- «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره» .

- «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات ؟ قال الرؤيا الصالحة» .

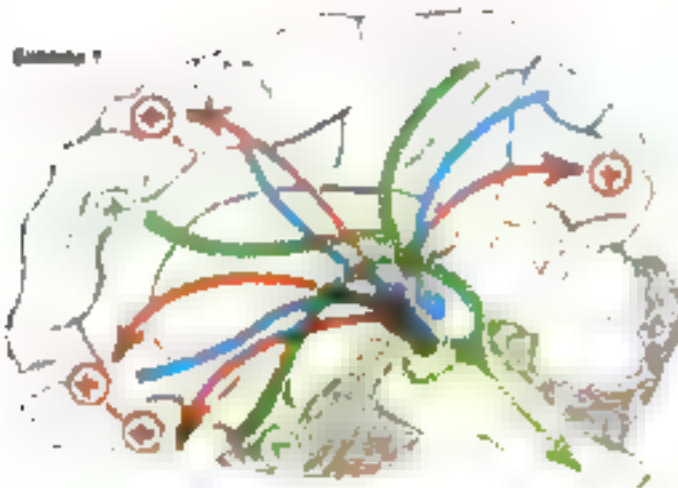
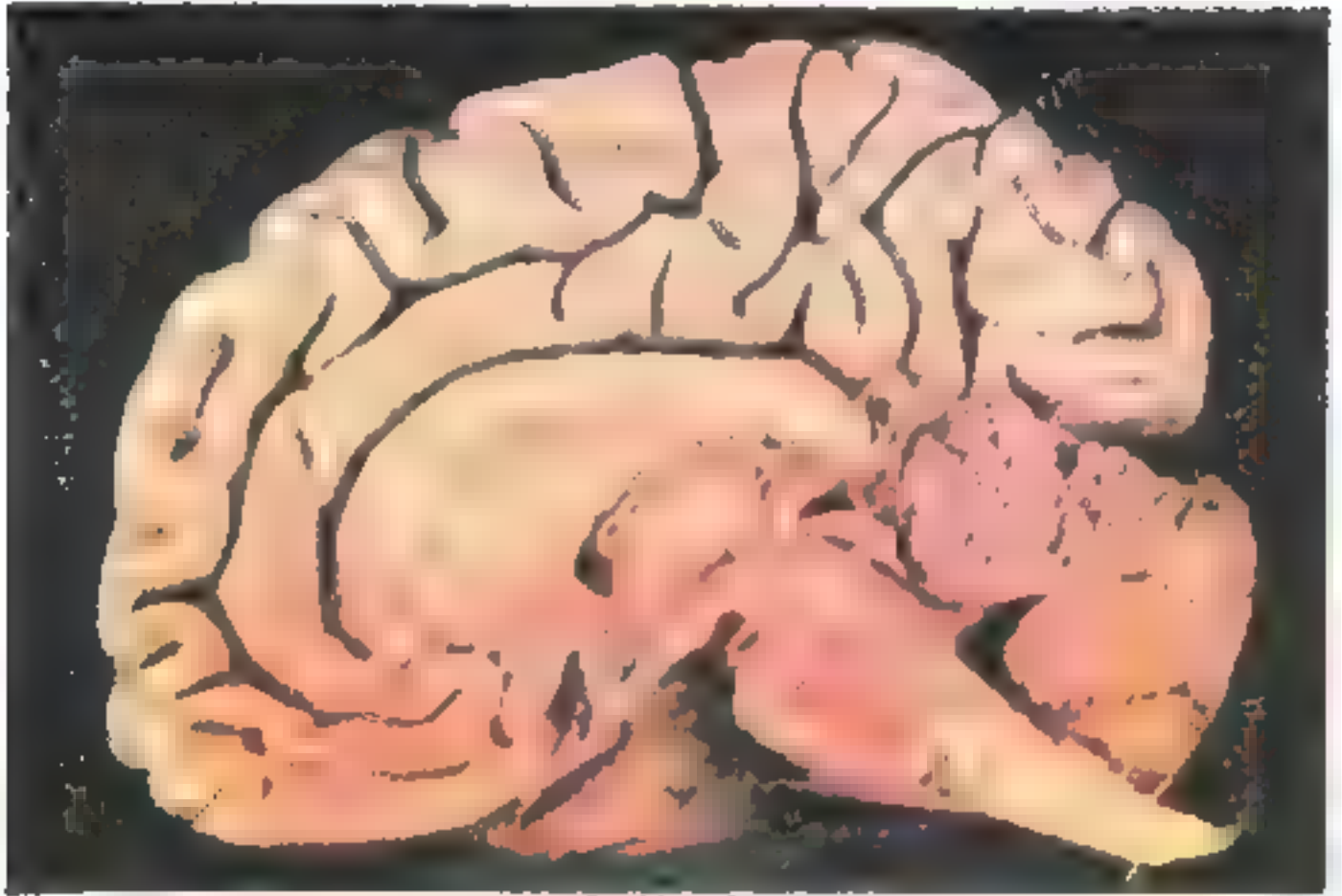
- «من رأى فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني» .

- «من رأى في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي» .

- «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب» .

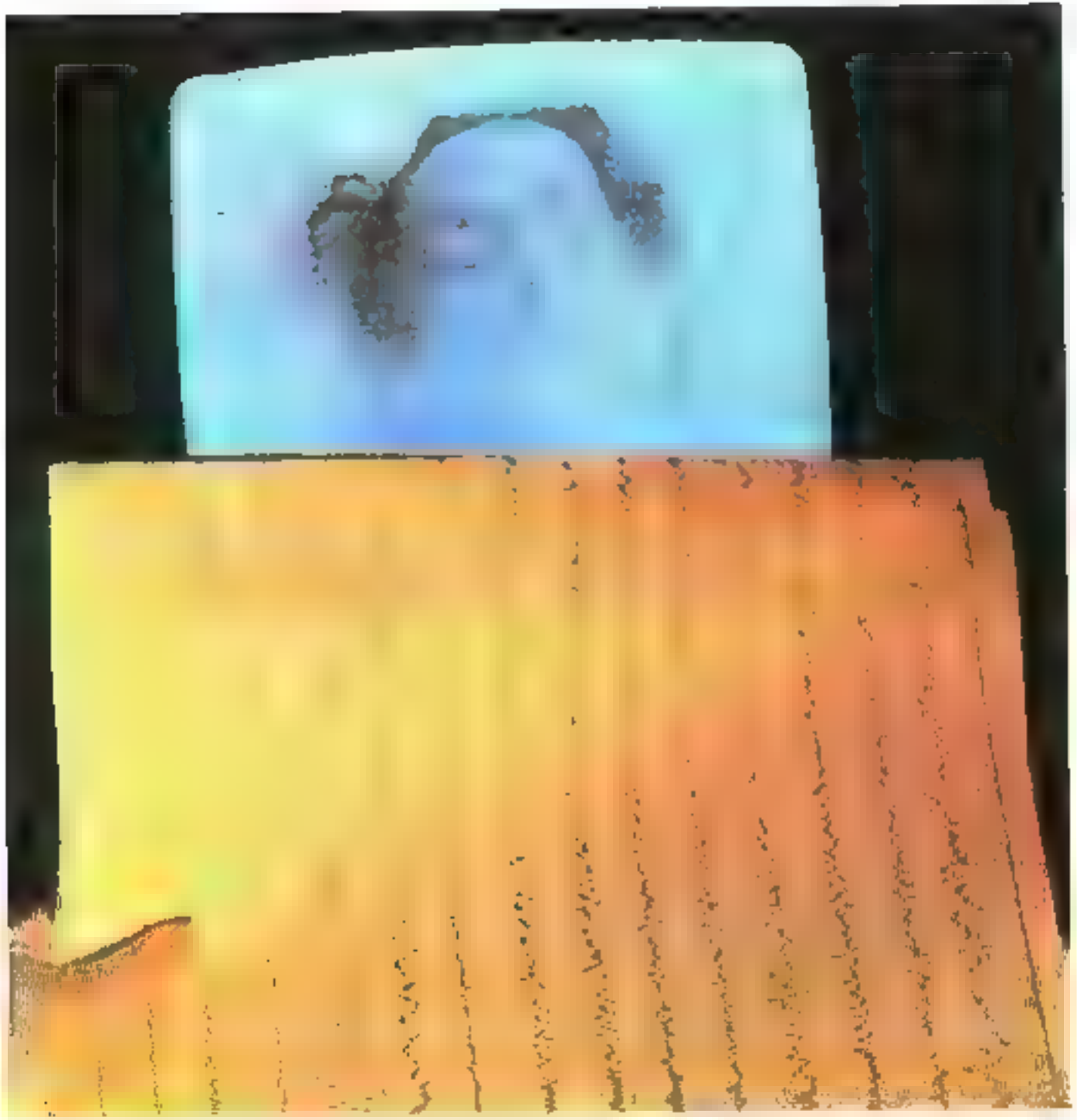


﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالتَّهَارُ﴾



صورة توضيحية لمراكز النوم في الدماغ

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾



نموذج لمخطط الدماغ الكهربائي خلال النوم

## الموت في المنظار العلمي والمفهوم القرآني

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُفَّ السَّيِّئَاتِ فَآخِذُوا بِحَبْلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ٢٨)

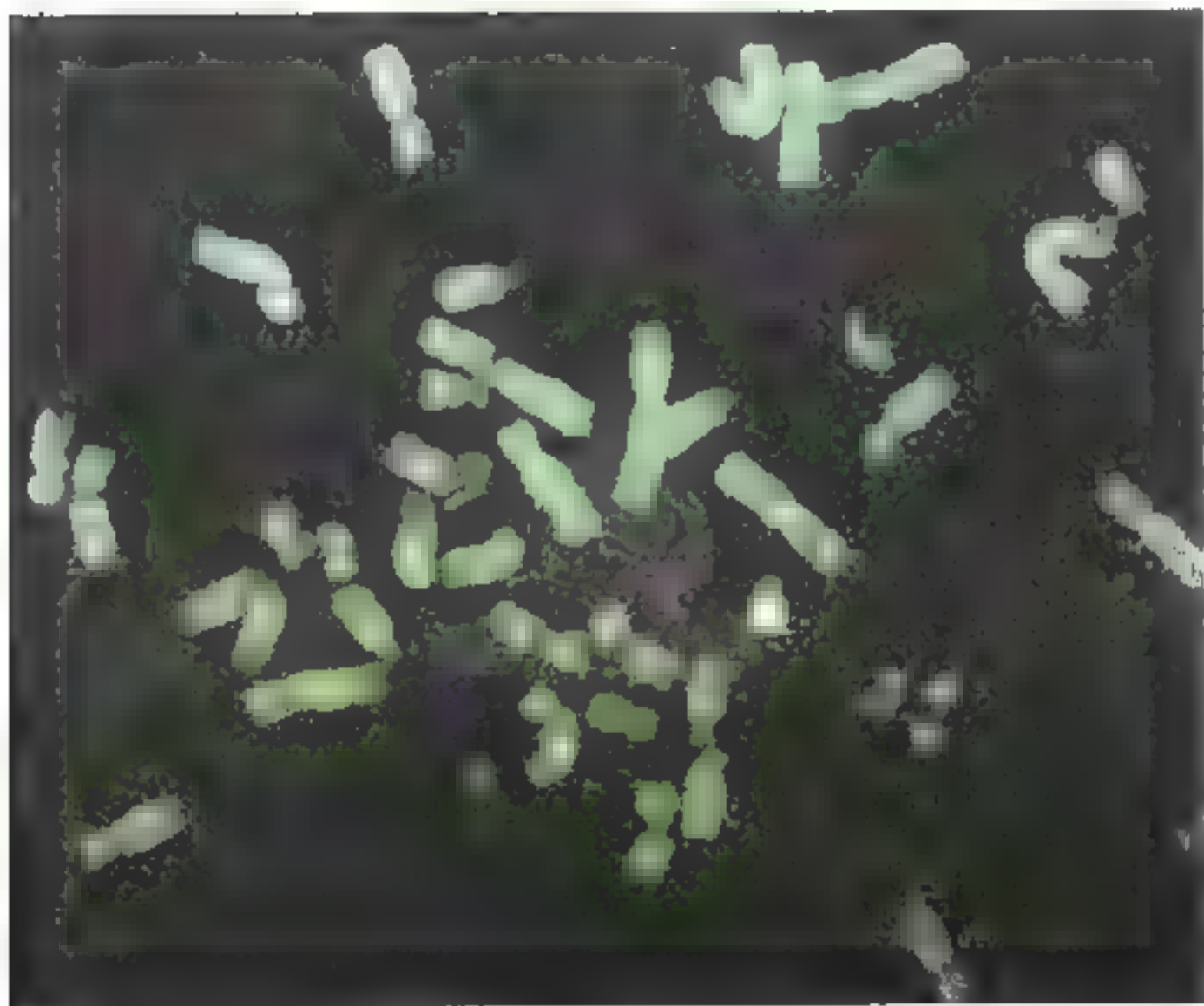
«كفى بالموت واعظاً وباليقين هنيئاً» .

(حديث شريف رواه الطبراني)

ما رأيت يقيناً أقرب إلى الشك من الموت .

حكيم

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ  
عَمَلًا ﴾



عوامل الموت والحياة البيولوجية هي مخنوقة أي مكتوبة سلفاً في الشفرة  
الوراثية عند الأحياء (هنا صورة حقيقية للشفرة الوراثية في خلية الإنسان  
السؤلف من ٢٣ زوجاً من الصبغيات، كل صبغة تحمل من ١٠ إلى ١٥ ألف  
ناسلة أو مورثة وكل مورثة تتألف من مئة مليار ذرة وفي جسم الإنسان ما  
تعداده التقريبي مئة ألف مليار خلية . . .)

إن فكرة الحياة والموت هي في ضمير وشعور وتصرف كل مخلوق حي، هو يفتش عن أسباب الحياة التي تؤمن وجوده واستمراره ويهرب من الموت ومسياته. هذا التصرف هو بيولوجي غريزي مكتوب في الشفرة الوراثية عند كل حي، كما كشف العلم ذلك منذ عشرات السنين فقط مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك : ٢) .

ولئن لم تحدث فكرة الموت والحياة أي مشكلة سلوكية، أو نفسية، أو فلسفية بالنسبة للمخلوقات المسيرة من خالقها، فللحياة والموت معانٍ عدة بالنسبة للإنسان العاقل، وهو المخير دون سائر المخلوقات. فمن غريزة حب الحياة والبقاء والمحافظة عليها، نشأت عقدة الموت عند الإنسان العاقل، وهي أهم وأصعب العقدة الرئيسية عنده، وكل المدارس الفلسفية أو النفسية أو المادية التي تعرضت لمعنى الحياة وحاولت إيجاد الحل الشافي لعقدة الموت، وما يمثله، فشلت في إيجاد الحل المقنع لها، إلا الإسلام الذي أعطى الحل المنطقي الشافي لها من خلال دستوره : القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسنة العطرة.

وكل ما سنشره لاحقاً بإذن الله في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما هو إلا محاولة متواضعة لإعطاء الدليل المنطقي العلمي على أن القرآن الكريم هو كلام الله ويجب الاعتقاد به ككل، فهناك مئات الآيات العلمية في حقول العلوم المادية التي سبقت بمضمونها العلم بقرون لا يعقل أن تكون منطقياً إلا من لدن الله، أما فكرة البعث بعد الموت، فيجب اليقين بها من باب المنطق والقياس لأنها لا تقع تحت سلطان التجربة، والحواس وهي غيب، ولا يوجد إيمان صحيح إلا مع يقين بالآخرة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

والمنطق السليم يفرض اليقين بكل ما جاء في القرآن الكريم، ومنه الآيات الغيبية التي لا تقع مضامينها تحت سلطان العلم والحواس كالجنة والنار والملائكة والعرش ما دام في القرآن الكريم مئات البراهين العلمية المادية التي تخضع مضامينها لسلطان العلم والتجربة، وقد جاء العلم الصحيح يطأطأ الرأس أمام إعجاز القرآن لا يستطيع كل ذي عقل ومنطق إلا أن يقر بأنها من لدن الله، أما من يقولون هذه الآيات لأن العلم بينها بالصورة ورأيها بالعين، وتشكر الآيات الغيبية لأن العلم والحواس لا يستطيعان تبيانها، فهذا هو عين المنطق الازدواجي المرضي وهو منطق الملحدين الماديين.

## ١ - الموت في المفهوم القرآني

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ (النجم : ٤٤)

أ - لا شفاء من الموت

يعتقد أكثر الناس في أعماق شعورهم ولا شعورهم وإن أنكروا ذلك بالاستهيم أن العلم سيجد يوماً ما علاجاً شافياً من الموت، وهناك قلة من العلماء المهووسين يفتشون ويصرحون علناً بأنهم سيجدون يوماً ما العلاج الشافي من الموت، وما بدعة حفظ الأموات في الثلاجات بحرارة ٢٨٠ درجة

نحت الصفر حتى إذا وجد العلم يوماً سر الحياة حقنوها بهذه المادة التي يفكرون باكتشافها، إلا تفتيش عن سراب، ومبستظرون كثيراً وكثيراً جداً فلقد انتظرت مومياة الفراعنة عودة الحياة إليها منذ خمسة آلاف سنة ولا تزال تنتظر ومستظل تنتظر إلى يوم البعث!

العلم لم ولن يصل يوماً ما إلى إعادة الروح والحياة إلى الأموات: هذا أول تحدٍّ قرآني، ونحن نقول ذلك بكل ثقة ويقين استناداً إلى عشرات الآيات الكريمة والتي نسميها بالتحديات القرآنية. فافه وحده جلّت قدرته هو يحيي ويميت ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

العلم لم ولن يخلق شيئاً من العدم فـ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (الأحقاف: ٤)، وهذا تحدٍّ قرآني.

العلم وكل علماء الدنيا مجتمعين لم ولن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴿وهذا تحدٍّ قرآني ثالث قائم إلى يوم الدين

والعقلاء من علماء الأحياء يقرون اليوم بأن العلم عاجز عن خلق خلية حية واحدة، فكيف بذبابة مؤلفة من آلاف الخلايا المختلفة؟

العلم وجميع القوانين الوضعية التي تتعارض مع القوانين السماوية الخفية لم ولن تؤمن السعادة للأفراد والمجتمعات، وهذا تحدٍّ قرآني رابع قائم حتى يوم الدين: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (طه: ١٢٣ - ١٢٤).

وما دام العلم، في مختلف فروعه، عاجزاً، كما تبين للجميع، عن الوقوف أمام هذه التحديات والمُسلّمات الفرآنية، فهو لم يستطع شفاء الموت، ولم ولن يرجع الحياة إلى الميت، فلماذا لا يأخذ الناس من باب

المنطق بالمعاني القرآنية للموت، وفيها سبيل الشفاء من القلق النفسي الذي يلف كل المجتمعات والأفراد من غير المؤمنين إيماناً صحيحاً، إذ لا إيمان من دون اليقين بعقيدة البعث والحياة بعد الموت.

ليقف الذين ينكرون وجود الله ووجود الروح أمام الموت وليمنعوا عنا  
الموت، ثم ليقولوا بعد ذلك بعدم وجود الحياة الآخرة والبعث والحساب  
والعقاب !!

لِيُرْجِعَ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ وجود الله والروح الحياة إلى الأجساد التي فارقتها الحياة ثم لينكروا بعد ذلك وجود الخالق! نحن نتحداهم في ذلك بكل ثقة وبغيرين واستناداً إلى آيات الله الكريمة .

فالمولى سبحانه وتعالى الذي قال باستحالة وقوف الإنسان أمام الموت، أو إعادة الحياة إلى الأموات ~~مبين~~ <sup>مبين</sup> للعلم حقيقة ذلك، قال بوجود حياة روحية بعد الموت وقبل البعث، ~~وبناء أخرى~~ <sup>وبناء أخرى</sup> يوم البعث، ومن باب المنطق والقياس أن نأخذ بما قاله ~~المولى~~ <sup>المولى</sup> ~~بغير غش~~ <sup>بغير غش</sup> ~~فلا شك~~ <sup>فلا شك</sup> وقوله كما تبين للعلم هو دائماً الحق.

الإسلام يعطي للحياة معنى جميلاً مشعاً بالأمل بحياة أفضل من خلال فكرة البعث والحساب والعقاب ، ويمحو من شعور الإنسان الصورة المرعبة للموت . أما في منظار العلم العادي فللحياة معنى تعيس مُتعب بائس فهي تنتهي عاجلاً أو آجلاً إلى الفناء والعدم ، هي لا تستحق أن نعيشها كما قال أكثر الذين كتبوا في معنى الحياة وراوا أن في الموت خلاصاً من أعباء آلامهم وتعباتهم ، لأنهم لا يعتقدون بحياة النشأة الأخرى ، لذلك نجد أن أكثر الذين لا يعتقدون بالبعث يقضون آخر سني حياتهم مرضى الإحباط النفسي . ومن هنا نفهم نسبة الانتحار العالية خلال العقد الثالث من العمر عند هؤلاء لأن لا معنى للحياة عندهم خاصة في مرحلة الشيخوخة .



ذلك أن للموت في المفهوم الإسلامي معنى مشرقاً، مفعماً بالأمل والرجاء، معنى حياة أفضل واستمرارية خالدة سعيدة، في حين أن للموت في المنظار العلمي المادي معنى تعيساً مظلماً معنى الفناء والعدم، وكل حي يكره الفناء ويخافه ويهرب منه.

#### ب - الموة الصغرى والنومة الكبرى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

سبق لنا التعليق العلمي على هذه الآية الكريمة عندما تناولنا موضوع النوم، في الفصل السابق. فالموت في المفهوم القرآني هو إما موة صغرى (نومنا العادي اليومي) أو نومة كبرى (الموت المتعارف عليه عند الناس) تنتقل خلالها الروح إلى حياة روحية يُظهِرُ هي حياة البرزخ بدون الجسد والنفس.

هذا المفهوم القرآني لأحد معاني الموت نحن نشدد عليه جداً، فبه نصحو الصورة المزعجة عن الموت في أذهان أكثر الناس، ما دام الموت في هذه الدنيا هو في المفهوم القرآني انتقال الروح من حياة النشأة الأولى إلى حياة جديدة هي حياة البرزخ، وحياة البرزخ قلما توقف عندها من تناول معاني الموت والحياة من الوجهة القرآنية.

فما هي حياة البرزخ؟

خلال النومة الكبرى (أي الموت بمعناه العادي) تموت النفس ووعاؤها الجسد. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أما الروح علة الحياة في النفس والجسد فيجعل المولى بينها وبين الجسد برزخاً أي حاجزاً غير منظور ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

أَخَذَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبُّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ (المؤمنون ٩٩ - ١٠٠) إن روح الكافر هي التي تقول في هذه الآية الكريمة ﴿رَبُّ ارْجِعُونِ﴾ فلقد أصبح يقيناً بعد الموت بالنسبة للكافر كل غيب كان ينكره، والمولى سبحانه وتعالى يقول: كَلَّا، مَعْلَأُ السَّبَبُ بِقَوْلِهِ ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. وهناك آيات كثيرة وأحاديث شريفة تؤكد وجود الحياة الروحية بعد مorte الحياة الدنيا وقبل الحياة الأخرى الخالدة: نكتفي منها بالتالي:

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا نُبْعِدُكَ إِنَّا كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذْنَاهُمُ الرُّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ (يخاطب هنا أرواح قومه الذين أخذتهم الصيحة) لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِثُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف ٧٧ - ٧٩).



وكذلك بالنسبة للنبي صلي الله عليه وسلم الذي خاطب قومه بعد موتهم: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ، وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٩٣).

وروي عن الرسول الكريم ما يؤكد حياة البرزخ الروحية:

كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة (الأرض الواسعة) ثلاث ليال، فلما كان بدير اليوم الثالث، أمر بإراحته فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي (أي البئر التي دفن فيها قتلى المشركين من بدر) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسيركم أنكم أطعتم الله ورسوله فلانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً. فقال عمر يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لا

أرواح لها؟ فقال رسول الله : والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . (رواه البخاري) .

ولقد صدر منذ سنوات ، كتاب عنوانه الحياة بعد الموت ، للدكتور مودي ، يتكلم عن مئة وعشرين حالة وفاة طبية وقتية . توقف خلالها قلب المريض ، أقل من ثلاث دقائق ، وعاد بعدها للخفقان . وتحدث أصحاب هذه الحالات ، الذين مروا بموت طبي مؤقت (أي توقف القلب لمدة تقل عن ثلاث دقائق ثم عودته إلى الخفقان) عن تجربة روحية قريبة من حياة البرزخ ، وهو كتاب نجد فيه بعضاً من الحقائق التي تؤيد حياة البرزخ .

ج - ﴿ رَبَّنَا أَمَتَا اثْنَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَيْنِ ﴾

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَا اثْنَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَيْنِ ۖ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ۖ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴾ (غافر: ١١) .

المولى سبحانه وتعالى أحياناً اثنتين : حياة النشأة الأولى ، أي الحياة الدنيا الفانية ، حياة الجسم والنفس والروح . ثم الحياة البرزخية الروحية بعد موت النفس في الحياة الدنيا وقبل النفخة الأولى في الصور . والحياة الثانية هي حياة النشأة الأخرى ، الحياة الخالدة ، حين البعث وهي حياة بالجسم والنفس والروح أيضاً . وهناك خطأ كبير يجب أن لا يقع فيه كل مؤمن ، إذ يعتقد بعض الناس أن حياة النشأة الأخرى هي حياة روحية فقط ، وعشرات الآيات الكريمة تؤكد بأنها حياة روح وجسد ونفس : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مُّتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۖ يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِلَّذَانِ مَخْلُذُونَ ۚ بِأَنكُوبٍ وَأَبَارِقٍ ۚ وَكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ۚ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَرُونَ ۚ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۚ وَلَحْمٍ طَيِّبٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۚ وَخُورٍ عَيْنٍ ۚ كَذَٰلِكَ أَلْوُذُ الْمُكْسُونَ ﴾ (الواقعة : ١٥ - ٢٣) . هل هذه صورة مادية أم لا ؟ وهل الروح تأكل وتشرب وتتزوج إذا كانت حياة النشأة الأخرى هي حياة بالروح فقط ، كما يفهم البعض ؟

والمولى أمانتا اثنتين : العونة الأولى : وهي مودة النفس والجسد، أي موتنا في الحياة الدنيا، عند انقضاء الأجل المحتوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وموتة أخرى أي مودة الروح بعد انقضاء حياتنا الروحية البرزخية . وعند النسخة الأولى في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُيِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر : ٦٨) ، ويختصر كل ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة التالية : ﴿كَفُّوا تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأُمُوتُ (أي عدما) فَأَحْيَاكُمْ (الحياة الأولى الفانية) ثُمَّ يُمِيتُكُمْ (موتة الجسد والنفس ثم الروح) ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (الحياة الأخرى الخالدة) ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة : ٢٨) وهي من مثالي قوله تعالى : ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأُخِيتْنَا اثْنَيْنِ﴾ .

## ٢ - المفهوم القرآني للموت من الوجهة النفسية

إن عقدة خوف الموت المتأفة من غريزة حب الحياة والمحافظة عليها هي من أولى وأهم العقد النفسية الأساسية عند الإنسان، وتتحكم في أغلب التصرفات والأحاسيس الشعورية الغضائية، وكل المدارس الفلسفية والنفسية والاجتماعية ليس لها ما تقدمه من حل جذري لهذه العقدة النفسية المرعبة إلا من مدرسة السماء التي خففت الكثير من وطأة هذه العقدة، من خلال عقيدة البعث والحساب، لا بل إن الإسلام من خلال عقيدة البعث والجهاد لم يقدم فقط حلاً منطقياً شافياً لعقدة الموت بل تسامى بها إلى فضيلة حب الاستشهاد في سبيل الله .

ولقد سبق لنا وأوضحنا في الفصل الثالث معاني الموت من الوجهة النفسية .

## ٣ - معاني الموت البيولوجية في القرآن الكريم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الملك : ١ - ٢) .

في المفهوم القرآني الموت والحياة خلق ؛ فالموت قد يكون مخلوقاً بأسباب خارجية تدخل في علم علام الغيوب كالقتل والحوادث الطارئة والكوارث الطبيعية ومسببات الأمراض القاتلة كالميكروبات والفيروسات وغيرها ، أو بأسباب داخلية بيولوجية قدرها المولى في داخل كل حي .

ومنذ أواسط القرن العشرين وحتى كتابة هذه السطور يكتشف علم الوراثة أن في كل الأحياء ، عوامل مُنشطة هي المسيطرة عندما يكون الحي ضعيفاً ، أي منذ بدء خلقه وحتى سن النضج كهرمون النمو وغيره ، ومع تقدم الأحياء في العمر بعد بلوغ سن النضج تراجع تدريجياً العوامل البيولوجية الحياتية المُنشطة فيه أمام عوامل الهرم والشيخوخة والتهديم البيولوجية ، وكل هذه العوامل البيولوجية تحكمها المورثات أي الناسلات الموجودة في الثروة الوراثية عند كل حي : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

من هنا نفهم قوله تعالى في العمق ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ (أي

هذه المورثات أي الناسلات [وهي مواد كيميائية جزء من حامض أميني نووي D.N.A.] تحكم مختلف العوامل البيولوجية التي تحول الجنين من ضعف إلى قوة بفعل مورثات التخلق والنمو والنضج ، ثم من قوة إلى ضعف بفعل المورثات التي تتحكم بأمراض الشيخوخة والهرم . وقد كشف علم الوراثة منذ سنوات فقط مورثات تصلب الشرايين وبعض الأمراض السرطانية ، وتصلب الشرايين والأمراض السرطانية يتسببان بثلاث الوفيات عند الإنسان .

من هنا نفهم قوله تعالى في العمق ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ (أي من خلية لا يتجاوز قطرها خمس المليمتر ووزنها واحد من مليار من الغرام) ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً (إذ تحولت النطفة الأمشاج إلى مولود ثم إلى

رجل ناضج بفعل مورثات التخلق والتسوية والنمو) ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً (بفعل عوامل الهرم والشيخوخة التي تحكمها مورثات تصلب الشرايين والسرطان والمناعة وغيرها) يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (الروم : ٥٤) .

فالموت من الوجهة البيولوجية ، كما بدأ العلم يبين ذلك هو مقدر في الثروة الوراثية للإنسان ومنذ بدء تخلق الجنين ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ . عَلَى أَنْ تَبْلُغَ أَمְثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الواقعة : ٦٠ - ٦١) وعوامل الموت والحياة البيولوجية هي مكتوبة بلغة كيميائية في داخل الإنسان وفي ثروته الوراثية بالذات مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مَّغْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (فاطر ١١) أو لا تعني كلمة كتاب هنا من بين ما تعنيه من معانٍ ، الشيفرة الكيميائية المكتوبة في خلايا كل مخلوق حي عينا بها الثروة الوراثية ؟ الله أعلم بتأويل كلماته .

#### ٤ - الموت الطبي : موت الدماغ

حتى منتصف القرن العشرين ، اقتصر تعريف الموت من الوجهة الطبية على التأكد من توقف القلب عن الخفقان بصورة دائمة ؛ ومع تقدم علم التخدير والإنعاش أمكن في بعض الحالات الطبية التي يتوقف خلالها القلب إعادته إلى الخفقان بواسطة التدليك القلبي والصدمات الكهربائية القلبية والأدوية ، كما أمكن بواسطة آلة التنفس الاصطناعي الاستغناء عن عمل الرئتين لبعض الوقت ، وبذلك تبين للأطباء أن المريض الذي يتوقف قلبه عن الخفقان لمدة تزيد عن ثلاث دقائق ، ثم يعود للخفقان بواسطة الإنعاش والتنفس الاصطناعي قد يبقى لبعض الوقت ، مدة قد تطول وقد تقصر إلا أنه يبقى فاقد الوعي وفي غيبوبة من الدرجة الرابعة ، إلى أن يتوقف القلب تلقائياً رغم كل وسائل الإنعاش ، ومن هنا نشأ مفهوم الموت الطبي أو الموت



صورة جانبية داخلية لتتصف الدماغ وحذعه . ( يطلق اسم الموت الطبي على بعض الحالات المرضية الحادة التي يموت فيها الدماغ بالرغم من بقاء خفقان القلب - في هذه الحالات النادرة يسمح فيها بنقل أعضاء المريض إلى من هم بحاجة إلى ذلك مع أنه يؤكد ذلك لجنة طبية مختصة )

الدماغي وتعريفه الآتي : الموت الطبي هو كل حالة يتأكد خلالها الأطباء ، بواسطة الفحص السريري ومخطط الدماغ الكهربائي ، وتلوين الشرايين الدماغية ، وتصوير الدماغ بالكمبيوتر أن الدماغ قد توقف عن العمل لأن خلاياه النبيلة قد ماتت ، بالرغم من عمل القلب وخفقانه .

هذه الحالات المتعارف عليها اليوم بالموت الطبي أو موت الدماغ ، يُسمح فيها بعد التأكد منها بواسطة لجنة طبية مختصة ، بنقل أعضاء المريض الذي يكون في حالة كهذه إلى غيره من المرضى الذين هم بحاجة لقلب أو عين أو كلية ومن هنا نشأت فكرة زرع القلوب ونقل الأعضاء .

## ٥ - ما رأي الإسلام في الموت الطبي ؟

عظمة وإعجاز القرآن الكريم . أن الباحث في معانيه ، يجد دائماً في آياته الكريمة الحل الذي يطرحه كل علم صادق وصحيح ، والموت الطبي كما عرفناه ، نجد تعريفه في القرآن الكريم في خصوص واضحة لا تتطلب إلا بعض التعليق .

في المفهوم القرآني : الروح هي علة الحياة في الجسد والنفس ومركزها في الصدر ، وعندما ينتهي أجل الإنسان في هذه الدنيا تترك الروح الجسد وتنقل إلى حياة روحية جديدة هي حياة البرزخ . أما الجسد فيبقى ويموت ، إلا أنه في بعض الحالات الخاصة كحالات الموت الطبي الذي نحن بصدد ، وتبَيَّاتاً من المولى عز وعلا على وجود الروح لمن ينكر وجودها تستقل الروح من الصدر إلى الحلقوم وهو في مستوى الترقوتين أي القسم الأعلى من جهاز التنفس ، وفي هذا إشارة قرآنية إلى أن لا عودة للروح إلى الصدر وأن أجل الإنسان قد انتهى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ (الروح) الْحُلُقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينِيذُ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (أي خاضعين لقهر وسلطان الخالق) . تَرْجِعُونَهَا (أي الروح) - وَهنا تحدُّ



قرآني قائم إلى يوم الدين لكل من يدعي أن باستطاعته إعادة الروح إلى الجسد، أي إعادة الحياة إلى الأموات كما يفكر بعض السذج من علماء الأحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الواقعة : ٨٣ - ٨٧) .

ولقد حددت الآيات الكريمة التالية شروط الموت الطبي التي نستطيع من خلالها أن نؤكد شرعياً بأن المريض قد مات طبيًا بالمعنى المتعارف عليه اليوم بالرغم من خفقات قلبه ويمكن بالتالي نقل أعضائه إلى المحتاجين من المرضى .

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (القيامة : ٢٦) : أي حتى إذا بلغت الروح مستوى الترقوتين (وهما عظمتان في المستوى الأعلى للقفص الصدري ومستوى الحلقوم) في هذه الحالة يشوق عمل الرئتين ويضطر الأطباء لاستعمال آلة التنفس الاصطناعي .

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (القيامة : ٢٧) : أي راق أهلكه من يستطيع أن يأتي لهذا المريض بـ «رقية» أي بأعجوبة تنجيهِ من الموت

﴿وَعَلَنْ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة : ٢٨) من وجوه معاني هذه الآية نرى تأويلها الآنني والله أعلم : أكد أهل الاختصاص أن هذا المريض قد فارق الحياة لأن الشدة المرضية تتوالى عليه : ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (القيامة : ٢٩) .

في هذه الحالة وبعد أن تصل الروح إلى مستوى التراقي والبلعوم يسأل الأهل الفريق الطبي المعالج هل من أعجوبة طبية تنقل المريض؟ فيؤكد الفريق الطبي أن هذا المريض هرقى حال «فراق» لأن الشدائد والمضاعفات الطبية توالى وتتوالى عليه، ولا رجاء منه، وأنه في حالة الموت الدماغي، وهو بين يدي الرحمن الذي قال : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ نَوْمُنَا مِنَ الْمَنَاقِ﴾ . وهكذا نجد أن القرآن الكريم وصف وحدد علامات الموت الطبي أو موت الدماغ من

دون أن يفصلها (كما هي الحال في حقل كل الآيات العلمية التي تطرقت إلى حقول العلوم المادية) لذلك ربط تأكيد فراق المريض لهذه الدنيا بمن هو أهل لذلك من قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ (أي أيقن) أهل العلم والاختصاص ) أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ .

لذلك لا نجد من الوجهة الشرعية أي مانع في نقل أعضاء أي مريض هو في حالة غيبوبة عميقة أكد فريق طبي مؤهل أنه في حالة «فراق» أي في حالة موت طبي . والله أعلم .

## ٦ - علامة العين التي تدور

﴿ أَشِيعَةُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ . . . ﴾ (الأحزاب : ١٩) .

إن حالة الارتجاج في العين ، تشاهد عند بعض الناس في حالة الخوف الشديد ولكن ما يستوقفنا هنا هو الإعجاز العلمي الكامن في قوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ذلك أن حركة الارتجاج في العين ، وهي من العلامات الرئيسية التي تصاحب الإصابات المرضية في جذع الدماغ لم يعرفها أطباء الجهاز العصبي إلا سنة ١٩٥٩ فقط ، مع الدكتور «فيشر» Fisher الذي وصف علامة العين التي تدور ، بما يسمونه بعلامة «عين الدمية المخلوعة» ( Bobbing ocular ) ( Signe de l'oeil detelé d'une poupée ) ( Doll's signe ) ( movement ) . فكل إصابة في جذع الدماغ ، مصحوبة بعلامة العين التي تدور هي إصابة مميتة يكون المريض خلالها في حالة غيبوبة عميقة ، تنتهي به سريعاً إلى موت أكيد ، ولم يعرف الأطباء أي حالة غيبوبة مصحوبة بعلامة العين التي تدور إلا وانتهت إلى الموت ، إذ يكفي ظهور هذه العلامة وحدها فقط ، عند أي مريض في حالة غيبوبة ، لتعني بالنسبة إلى أطباء الأعصاب ، قرب انتهاء أجل المريض ، بصورة شبه أكيدة . ولقد يَسَّرَ لنا

المولى من خلال عملنا الطيبي ان نطلع على بعض حالات غيبوبة عميقة، مع علامة العين التي تدور، (تدور العين إلى الأسفل وترجع تلقائياً إلى وضعها الوسطي العادي، تماماً كعين الدمية) وكلها انتهت بالموت وصدق أصلق القائلين ﴿كَأَنِّي بَخَشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.





## الاحباط النفسي في المنظار العلمي والمفهوم القرآني

وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ جُثَّةً يُبْصَرُونَ وَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

(البقرة: ٢٧٧)

وما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني  
عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ  
في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك،  
أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو  
استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن  
العظيم ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب  
همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدل مكانه فرحاًه.

(الطبراني)



## ١ - الإحباط النفسي : مشؤه ومسبباته

لكل مخلوق حي حاجات حياتية رئيسية أربع (besoins vitaux) مراكزها عند الحيوان في الدماغ الحيواني أو النباتي (cerveau végétatif, ou ancien cerveau) الذي هو مبعث الأهواء والغريزات الشعورية واللاشعورية والتصرفات السلوكية التي ندعوها بالفرائز.

هذه الحاجات الأساسية تؤثر وتؤثر عند الإنسان بالدماغ العاقل المفكر (néo cerveau) ، الذي جعله المولى سيداً على الدماغ الحيواني ، وهي : غريزة حب الحياة والمحافظة عليها ، غريزة حب التملك ، غريزة طلب الحنان والرعاية ، وغريزة طلب الجنس والمحافظة على النوع .

وبانحراف هذه الفرائز الحياتية عن مسارها السوي نحو المغالاة أو الكبت (بفعل مؤثرات خارجية عديدة : تربية واجتماعية خاطئة أو ظروف قاهرة أو مؤثرات داخلية مرضية) تنشأ ما نسميه بالعقد النفسية الأساسية : كعقد الموت والشح والإسراف والنقص والحرمان والتكبر والعقد الجنسية ، ولقد فصلناها بصورة مبسطة ومختصرة في الفصول السابقة .

وإذا لم تجد هذه العقد النفسية حلاً جذرياً شافياً لها (وغالباً لا تجد إلا حلولاً وقتية مُقْتِنَةً غير شافية) تتحول أحياناً إلى نقيضها فتقلب غريزة حب

الحياة وعقدة خوف الموت الناشئة عنها إلى كره الحياة واليأس منها والضياع عن الموت . وتقلب غريزة حب التملك وعقد الشح وما يتبعها من الركض اللاحث وراء الزينة والأموال إلى إحساس دائم بالسأم والزهد الخاطيء بكل زينة ومتاع في الدنيا ، وتقلب غريزة طلب الحنان والعطف وعقد النقص والشراسة والتعالي الناشئة منها إلى كره الذات والغير ورفض تقبل أو إعطاء المساعدة والعطف للذات والغير . كما تقلب غريزة الجنس والعقد الناشئة عنها إلى اللامبالاة والعجز الجنسي . كما يرافق كل هذه العوارض النفسية عارض الشراسة الذي يشكل قاسمها المشترك .

- أما عند الأحياء المسيرة من الخالق سبحانه وتعالى ، فلا عقد ولا إحباط نفسي عندها ، شرط أن لا يفسد الإنسان طريقة عيشها الطبيعي لأن الحيوان يهدده المولى وتبره الفرائض التي وضعها فيه ، لذلك هو سعيد لا يعرف القلق ولا الإحباط النفسي .

- وبصورة مبسطة إن تعلق الإنسان المرضي بالأشياء وصعوبة المحافظة عليها أو فقدانه لها فهو من أهم مسببات الإحباط النفسي والكآبة والحزن . وفي طليعة الأشياء التي يعلق بها الإنسان : الحياة والولد والجنس والمال وبقيّة زينة الحياة الزائلة . . . وتعريف الإحباط النفسي بأنه وفقدان الشيء المحبوب ، يندرج تحت الزاوية المبسطة التي عرفنا بها منشأ العقد والإحباط النفسي .

## ٢ - بعض الإحصاءات

القلق والإحباط النفسي هما بنسبة تصاعدية كلما تقدمت الإنسانية في مضممار الرقي المادي وبعدت عن تعاليم السماء الحقة ، هذا ما بيته الإحصاءات ، ويكفي التذكير ببعض الأرقام :

- كل شخص من عشرة أشخاص مصاب بعارض أو أكثر من عوارض الإحباط النفسي !!



الانتحار واليأس من الحياة بمحاولة قتل النفس، هو من أهم عوارض الإحباط النفسي فهو في مظهره في ٤٠٪ من الحالات، والانتحار هو بنسبة تصاعدية في المجتمعات الغربية حيث جرت الإحصاءات التالية: فقد جاء في مجلة طبية فرنسية: (La revue du praticien No 21 Novembre 1982).

أن الانتحار يشكل عشرة في المائة (١٠٪) من أسباب الوفيات بين سن العشرين والرابعة والعشرين وأنه المسبب الثاني للوفيات بعد حوادث السير!

أن محاولة التخلص من الحياة بالانتحار هي بنسبة ٣ إلى ٥ أشخاص في الألف بين سن الخامسة عشرة والرابعة والعشرين، وهي بنسبة ١,٥ - ٣ في الألف بين سن الخامسة والعشرين والرابعة والأربعين.

في إحصاءات فرنسية لعام ١٩٨٦ هناك تسعة عشر ألف حادثة انتحار ناجحة بين المراهقين فقط.

أدرجت منظمة الصحة العالمية دواء الفاليوم، مهدئ القلق المعروف، في لائحة الأدوية الأساسية وهو في طبيعتها استعمالاً، كما أن أربعة عشر بالمائة (١٤٪) من المرضى بصورة عامة هم مرضى أمراض نفسية عصبية.

- تعليق: لو وجدت عندنا إحصاءات رصينة، وهي مع الأسف غير موجودة، واعتمدت من جملة مؤشرات وجود الإيمان الصادق لوجدت أن نسبة الأمراض العصبية ومنها الإحباط النفسي العصبي، (وهي الأمراض المتأثرة من عوامل اجتماعية وخارجية)، هي الأقل بين الأفراد والجماعات المؤمنة إيماناً صادقاً!!! ربما كانت هذه الفكرة الإحصائية موضوعاً لأطروحة في علم النفس عند طلابنا الجامعيين المؤمنين!



### ٣ - أعراض الإحباط النفسي

للإحباط النفسي ثلاثة أوجه هي بصورة مختصرة جداً ومبسطة كالآتي :

#### ١ - من الوجهة النفسية الشعورية :

- شعور دائم أو متقطع ، بالكآبة وأقصى درجاتها الحزن (أعراض موجودة في ٩٥٪ من حالات الإحباط النفسي) .

- شعور بالذنب واليأس والثورة وعدم ثقة بالذات والغير (أعراض موجودة في ٨٥٪ من حالات الإحباط النفسي) .

- شعور بالقلق النفسي والخوف والاضطراب والذعر بدون أي مبرر أو لمجرد وجود مبرر طفيف (أعراض موجودة في ٧٠٪ من حالات الإحباط النفسي) .

- بكاء بدون أي مسبب (أعراض موجودة في ٧٠٪ من حالات الإحباط النفسي) .

- نوبات حادة من القلق النفسي والخوف غير المبرر من الأمراض العضوية أو العقلية مع خوف من الموت (أعراض موجودة في ٦٠٪ من حالات الإحباط النفسي) .

- تفكير دائم في أخطاء الماضي والحاضر وتضخيمها مع يأس وخوف من المستقبل (أعراض موجودة في ٥٠٪ من حالات الإحباط النفسي) .

#### ٢ - من الوجهة العقلية :

- ضعف في الانتباه والتركيز (أعراض موجودة في ٩٠٪ من الحالات) .

- فقدان الاهتمام بالأشياء والطموح (أعراض موجودة في ٨٠٪ من الحالات) .

- نقص في الذاكرة حفظاً وتذكراً (أعراض موجودة في ٦٠٪ من الحالات).

- أفكار انتحارية وتمني الموت (أعراض موجودة في ٤٠٪ من الحالات).

### ٣- من الوجهة العضوية :

أ - اضطراب في عملية النوم (أعراض موجودة في ٩٨٪ من الحالات).

ب - اضطراب في التنفس، كثرة في التبول، إحساس عام بالتعب، فقدان الشهية، نقص في الوزن، إحساس كاذب بالدوخة، اضطرابات وظيفية في الجهاز الهضمي (أعراض موجودة في ٧٠٪ من الحالات).

ج - نقص في القوى والرغبة الجنسية وفقدانهم اضطرابات في القلب والأوعية الدموية (أعراض موجودة في ٦٠٪ من الحالات).

د - آلام في الرأس، إحساس بالتعب، اضطرابات في الدورة الشهرية عند المرأة، إحساس غير طبيعية في مختلف أعضاء الجسم (٤٠-٥٥٪ من الحالات).

المرجع : (Les dépressions et leur drognostic frank. J. AYD. J. -

Presse Universitaire de France)

تنبيه : يطلق غير المختصين تعبير «تشخيص الإحباط النفسي» على كثير من الحالات التي ليست بذلك امتداداً إلى ما يقرأونه أو يسمعون من وسائل الإعلام السمعية والبصرية، نحن لا ننصح باعتماد هذه الوسائل، فتشخيص الإحباط النفسي أصعب مما يظنون، والأفضل سؤال المختصين بهذا العلم التزاماً بقوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر﴾.

## ٤ - أشكال الانهيار النفسي

### ١ - الإحباط النفسي الطبيعي :

يشعر كل انسان لدى فقدانه لشيء عزيز عليه بنوع من الإحباط . نعتة بالطبيعي وليس المرضي وهو عملية مقاومة نفسية يستطيع من خلالها الإنسان تخطين صعوبات عرضية ، والمسلم الذي فهم دينه وعقل معنى هوية المصيبة من الزاوية الإسلامية كما فصلناها في الفصل السادس من هذا الكتاب ، لا يعرف من الإحباط النفسي إلا الإحباط الطبيعي الذي تبقى عوارضه لبضعة أيام أو أسابيع على الأكثر ، علماً أن هذه العوارض طفيفة وليست مزعجة كعوارض الإحباط النفسي المرضي ، فالرسول عليه الصلاة والسلام حزن حزناً طبيعياً عند موت زوجته خديجة عليها الصلاة والسلام وعمه أبي طالب وابنه إبراهيم ، روى البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه فجعل ينادي يا رسول الله تذرني ، فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم أتبعها بأخرى فقال « إن الميت يفرح بك ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

كذلك كان حزن سيدنا يعقوب حزناً طبيعياً على فراق ولده يوسف عليه السلام ، وإن كان هذا الحزن قد طالت مدته لدرجة أن الحزن أفقده بصره ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْضُتْ عَيْنَا مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ، قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ، قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٨٤ - ٨٦) .

ومن أعراض الحزن الطبيعي أنه لا يُحيط بالعمق مختلف قوى الإنسان الشعورية والعضوية والعقلية كالحزن المرضي ، فلا يمنع الإنسان من العمل والتفكير والشعور بصورة طبيعية ، والأهم أن ظاهرة تمنى الموت

والانتحار لا وجود لها في كل حزن طبيعي ، فالإنسان العاقل ، وهي صفة كل مؤمن ، لا يقنط من رحمة الله ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) .

فاليأس من الحياة وأقصى درجاته، محاولة الانتحار، لا وجود له عند كل مؤمن عقل هوية المصيبة في القرآن الكريم...

ب - الإحباط النفسي الذهاني أو الداخلي :

وهي حالة مرضية قد تصاحب أكثر الأمراض العقلية الذهانية وهي  
أمراض، منها وراثي، يتأتى أكثرها من مُسببات عضوية كشف العلم بعضها؛  
كاضطراب في عمل الخلايا العصبية الدماغية نتيجة زيادة أو فقدان بعض  
المواد الكيميائية التي تحكم عملها، وهذا النوع من الاضطراب النفسي هو  
مرض عضوي علاجه كيفية الأمراض العصبية بالأدوية، وهو بلاء من الله عند  
المؤمن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَتَلَوْنِي فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفِكُمْ وَلَتَمَنَّ مِنْ  
الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا فَلَنْ  
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٠) وَلَيَبْذُلَكُمْ فِي شَتَّى مِنَ الْخُوفِ  
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشْرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠).

وقد وجدنا أعراض هذا النوع من الانهيار النفسي خفيفة عند المؤمن الصادق، فلا وجود لظاهرة الانتحار عنده (علماً أنها أكثر الأعراض وجوداً وإزعاجاً في هذا الشكل من الإحباط النفسي)، فالمؤمن لا يخشى بخساً ولا رهقاً من كل المصائب والبلايا التي تحل به في هذه الدنيا شرط أن يعقل معنى المصيبة في المفهوم القرآني مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

ج - الإحباط النفسي العصائبي :

وهو حالة مرضية قد تصاحب مختلف أنواع الأمراض العصبية،

كعصاب القلق النفسي وعصاب الهستيريا وعصاب الخوف وعصاب الوسواس القهري ، وأمراض الشخصية العصابية وكلها أمراض متأمة من عقد نفسية دفينة لم تجد حلاً إلا من خلال المظاهر النفسية التي يشكو منها المريض وقد فصلنا بعضها في الفصول السابقة .

#### د - الإحباط النفسي الارتكاسي

وهو نتيجة انهيار مقاومة الإنسان النفسية والجسمية بفعل مسببات خارجية عديدة لا حصر لها، أجهدت الجسم والعقل والنفس واستنفدت كل مقاومته، أو بفعل مفهوم خاطيء للمعنى الحياة والعمل، فالعمل الدائم والركض اللاهث وراء متاع الدنيا دون أن يُعطي العقل والنفس والجسد حقهم من الراحة الضرورية اليومية هما من مسببات الانهيار النفسي الانهائي كما نحب تسميته وهو الشكل الأكثر شيوعاً اليوم وخاصة في المجتمعات المادية .

#### هـ - علاج الإحباط النفسي

أعطى الإسلام الحل الصحيح الشافي لجميع مشاكل الإنسان، ومنها أمراضه النفسية العصابية [أي المتأمة من مؤثرات وعوامل خارجية ظالمة ومفاهيم تربوية واجتماعية خاطئة] إنما المشكلة اليوم هي في التنظير والبرجة والتطبيق لهذه المفاهيم الإسلامية التربوية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية والدينية في البيت والمدرسة والمجتمع، منذ نشأة الإنسان وحتى مماته، وقد فصلنا شيئاً من هذه المفاهيم الإسلامية النفسية في فصول سابقة من هذا الكتاب، وكما سبق قوله : كل إنسان غير مؤمن إيماناً صادقاً، هو في نظرنا مريض عصائبي، بصورة خفية أو ظاهرة مهما حاول إخفاء عوارض عصابه : فالإسلام إذا فهم ودرس وطبق بصورة منهجية علمية في البيت والمدرسة والمجتمع، هو وحده القادر كنظام كامل لا ثغرة فيه على شفاء الإنسان من عقده النفسية التي تسبب أمراضه العصابية، ومنها الإحباط النفسي، لا بل إن

الإسلام لم يقدم فقط حلاً شافياً لعقد الإنسان بل تسامى بها عند المؤمنين الصادقين إلى كبرى الفضائل : فتسامى بعقد الموت إلى فضيلة الجهاد وطلب الشهادة، وتسامى بعقد النقص والتعالي إلى المحبة والثقة بالنفس والتواضع والصبر، وتسامى بعقد الشح إلى فضيلة الإحسان حتى الأيثار، وتسامى بعقد الجنس إلى فضيلة العفة والترفع عن كل شهوة جنسية آثمة .

لذلك نحن نعتقد من زاوية إيمانية أولاً، وبمحكم التجربة الشخصية المهنية ومن خلال فشل تجربة المدارس النفسية التي حاولت أن تعالج الأمراض العصابية والاضطرابات السلوكية من وجهة كيميائية، أو تحليلية نفسية دون الأخذ بتعاليم السماء، أن لا شفاء من القلق والخوف والإحباط النفسي وبقية الأمراض العصابية والاضطرابات السلوكية بصورة جذرية إذا لم يلتزم كل مريض بشيئين : وصفة طبية دينوية موقوتة المفعول من أهل الاختصاص في الأمراض النفسية ووصفة روحية إيمانية هي الالتزام بتعاليم المولى وهي وصفة جذرية الشفاء من قوله تعالى ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٢٨٥) ~~ويعتقدون~~



﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ نَافِثٍ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ  
عَزْمًا ۖ ﴾

(طه ١١٥)

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته  
بينكم محرماً فلا تظالموا.

يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني  
أهدكم.

يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعته فاستطعموني  
أطعمكم.

يا عبادي: كلكم عار إلا من كونه فاستكسبوني  
أكسبكم.

يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر  
الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا  
نقي فتنقموني.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا  
على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك من ملكي  
شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا  
على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي  
شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا  
في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلأ مسألته ما نقص  
ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل في  
البحر.

يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم  
إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا  
يلومن إلا نفسه .

(حديث قدسي)

- رواه مسلم -

قال تبارك اسمه وتعالى ذكره : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢) .

هذا الإنسان ، هذا الخصيم المسمى هل تغير منذ أن أوجد الله الإنسان  
الذي يدعونه بالعاقل ؟ كلا : والقصة تبدأ مع سيدنا آدم وزوجه وولديهما قابيل  
الذي قتل أخاه هابيل . وحتى كتابة هذه السطور ، وهل مرت على الإنسانية  
لحظة بدون ظلم للنفس وللغير أو قتل أو تدمير على يد هذا الظلوم الجهول  
الذي كرمه المولى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ  
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الاسراء : ٧٠) .

هذا الذي جعله المولى خليفة في الأرض أي صاحب سلطان أعظم  
فنسي ولم يلتزم بتعاليم الله هل تغير ؟ ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسِي وَلَمْ  
يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه : ١١٥) .

هذا الإنسان ، هذا الأكثر جدلاً ، الذي قبل وحمل «الأمانة» أي السيادة  
على جميع مخلوقات الله التي سخرها له : ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا  
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثًى ﴾ شرط ألا يفسد في الأرض ولا يطفئ في ميزان المخلوق

ولا يتعسف في استعمال هذه والأمانة السيادة، هل كان بمستوى هذه المسؤولية الخطيرة، مسؤولية الأمانة على بقية مخلوقات الله؟ كلا!!

هذا الإنسان: الخصيم المبين، الظلوم الجهول الهلوع الجزوع المنوع الفتور المؤوس الفخور المفرور الكفار المنكير العاتي المفسد في الأرض سفاك الدماء؛ إلا القلة ممن هدى واهتدى، ما وصل إلى هذه الحالة النفسية والاجتماعية والأخلاقية النعيسة التي تلف أكثر المجتمعات اليوم إلا لأنه ترك كتاب الوفاية والصيانة والشفاء للأفراد والمجتمعات: القرآن الكريم، واتبع دساتيره وقوانينه الوضعية الأرضية، ونسي أبسط البديهيات: فكل صانع هو أعلم بصنعه: ما يصلحها ويضرها، والمخالق هو الأعلم بمن خلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لنفسه ولأخيه الإنسان، فهو يتره ويرق موارده وخيراته الأولية ويستعمره في جسده وفلسطين وأرضه بأي وسيلة تتوفر له منذ أن كان الإنسان العاقل وحتى كتابة هذه السطور: يصرف مليون دولار تقريباً في الدقيقة لإنتاج وسائل الفتك والدمار، ويترك عشرات الملايين من إخوانه يموتون سنوياً من الجوع، ومئات الملايين يعانون من سوء التغذية، ومليار نسمة في دياجير الجهل والمرض والفقر، بينما هو يصنع القنابل الجرثومية ويخطط لحرب النجوم، كدس فوق رأس كل فرد من أفراد البشرية بضعة أطنان من المواد الشديدة الانفجار، وفي ترساناته الحربية ما يكفي بكبسة زر أو أزرار لمحو كل أثر للحياة على وجه الأرض خمساً وعشرين مرة، اعتقاداً منه أنه يستطيع أن يتحكم تماماً بمصانع الدمار الجهنمية هذه.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ نسي أو تناسى محدودية علمه وقدرته، وتناسى ما يتعرض له كل سنة من كوارث بسبب مصانع الدمار المدمرة لبيته وما عليها لأنه نسي أو تناسى القانون الإلهي الذي ما وضع إلا للمحافظة عليه

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾



الفقر والمرض والجهل والقلق في العالم هي نتيجة انانية  
الانسان وظلمه ونتيجة القوانين الموصغة التي اتبعها، ولو اتبعت  
الانسانية النظام الاسلامي لما بقي مريض وجاهل وفقير...

وعلى بيته : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَرَضَعَ الْمِيزَانَ . أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن : ٧ - ٩) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لنفسه ولغيره لأنه تناسى وتجاهل القانون القرآني الحق ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ وَمَنْ يُفْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ . . . ونسي أيضاً الحديث القدسي : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لأنه وضع لنفسه وفرض على غيره قانون الباطل المتمثل في تصرف أكثر الدول بالقوة هي الحق والحق هو القوة ونسي القانون الإلهي : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَتَاءَ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ . . . ونسي قول المصطفى عليه السلام « بش العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المنعال ، بش العبد عبد تجبر ونسي الجبار الأعلى ، بش العبد سها ولها ونسي المقابر والبلى » .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ هو يتجاهل الموت وهو يعلم أن لا مفر منه ، تناسى وتجاهل قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْهُ فِتْنَةٌ مَلَأْتِكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجمعة : ٨) ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ يتجاهل وجود الخالق وهو يعلم ضمناً بل لا يستطيع إلا أن يقر بينه وبين نفسه بوجود الخالق ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لأنه لا يريد أن يعترف بأن قانون الله هو

الصحيح رغم كل الإحصائيات والوقائع والتجارب التي أثبتت له خلل قوانينه  
الوضعية . نسي أو تناسى وتجاهل قول رب العزة : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي  
لِأَقْوَمِ سَبِيلٍ ﴾ .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ : لأنه لا يريد أن يعترف بقلة ومحدودية علمه  
مهما أوتي من علم ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ : درس الإنسان كل شيء في هذا الكون  
فوجدته قائماً على نظام صحيح محكم ومتقن الصنع ، ورغم ذلك تجاهل من  
وراء هذا النظام المحكم المتقن في كل شيء من الذرة إلى المجرة وأرجع  
ذلك إلى فرضيات واهية كأزلية المادة والصدفة والتطور والطبيعة وهل من  
شيء منظم إلا ويكون وراءه منظم ﴿ مَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ .

### بعض الإحصاءات

أثبت الطب أن تناول الخمر وإدمانها يتسببان بما يقرب من خمسين  
مرضاً وعارضاً صحياً ، وتقول إحصاءات منظمة الصحة العالمية : أن ٨٦٪ من  
حالات القتل و ٥٠٪ من حالات العنف والاعتصاب وحوادث السير هي  
نتيجة شرب الكحول .

وتقول إحصاءات الولايات المتحدة الأميركية أنها تخسر سنوياً ٣٠  
مليار دولار ثمن ساعات توقف عن العمل وطبابة بسبب إدمان الخمر ، وأن فيها  
عشرة ملايين مدمن خمر .

وتقول الإحصاءات في فرنسا : إنها تخسر سنوياً مائة مليار فرنك ثمن  
ساعات توقف عن العمل وطبابة من جراء إدمان الخمر ، وأن فيها أربعة  
ملايين مدمن للخمر ، على حين أنها تربح ٢٠ مليار فرنك سنوياً من بيع  
الخمر .

تقول الإحصاءات في إنكلترا أنها تخسر ١٨٠٠ مليون دولار سنوياً

بسبب مليون مدمن خمرة فيها .

وتقول إحصاءات الاتحاد السوفياتي الرسمية : أن ٣٧٪ من اليد العاملة فيه هي مدمنة كحول و ٦٧٪ من حوادث الطلاق والمآسي الاجتماعية هي نتيجة إدمان الكحول و ٩١٪ من حوادث القتل والسرقة والاعتداء هي نتيجة إدمان الكحول .

وتقول الإحصاءات بصورة عامة : أن ٢٥٪ من الأسر في مستشفيات الولايات المتحدة و ٢٠٪ من الأسر في انكلترا و ٣٠٪ في أستراليا يحتلها مرضى الإدمان الكحولي . وبالرغم من كل هذه الإحصاءات والحقائق ، وهي إحصاءاتهم ومعلوماتهم يقول مفرضوهم إن تعاليم الإسلام التي تحرم الخمرة منذ خمسة عشر قرناً تتعارض مع العلم . أليس هذا الإنسان بظلم جهول !!؟

أثبت آخر المراجع الطبية أن العلاقات الجنسية الآثمة أي غير الشرعية كالزنا واللواط تبب بما يقرب من سبعين مرضاً وعارضاً صحياً أكثرها خطراً ومزعج وبعضها قاتل ، كمرض فقدان المناعة المكتسبة المسمى بـ «السيدا» أو «الايدز» والذي يصيب في أكثر حالاته المواطنين نسبة ٧٠٪ في المائة . ويقول أشهر عالم في أمراض السرطان البروفسور «جورج ماتي» إن الإباحية الجنسية تكلف الفرنسيين غالباً ، فلقد أثبت له الإحصائيات وخبرته الطويلة أن سرطان عنق الرحم هو بنسبة متزايدة جداً عند اللواتي يمارسن الحب بدون رقيب ، وكشربة ماء ومع رفقاء عدة ، ومع ذلك فقد ثارت الصحافة ضد تصريح هذا العالم لأنه يريد أن يسيء بهذه المعلومات الطبية للحرية الفردية ! ويحد من نشاطها !

أليس هذا الإنسان ظالماً لنفسه . جهولاً لكل علم صادق ومفيد وصحيح « وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَاءً سَبِيلاً » . ومع ذلك فالمفرضون من المستشرقين واللاهثين وراء كل شيء أتى من الغرب يقولون بأن الإسلام وتعاليمه تتعارض مع العلم !!



أخيراً وليس آخراً أثبت علم الطفيليات والتغذية والإحصاءات أن لحم الخنزير يتسبب بأخطر الأمراض ومع ذلك يتصدر لحم الخنزير موائدهم ، ولا يزال بعض اللامزين يفتري الأقاويل على هذا الدهن الحنيف الذي حرم أكل لحمه منذ خمسة عشر قرناً! أليس هذا الإنسان بظلم جهول؟! كلفت الحرب العالمية الثانية الإنسانية ما يزيد عن أربعين مليون قتيل ومشوه ومن الأموال ما لو أنفق لتحسين عيش أفرادها لأعطى كل فرد من أفرادها بيتاً مستقلاً ومستقبلاً آمناً حتى أواخر عمره . والإنسانية تنفق على التسلح (إحصائيات الأمم المتحدة لعام ١٩٨٤) في كل ساعة ستين مليون دولار، في حين يموت كل يوم خمسون ألف طفل دون السنة الواحدة من العمر من الجوع ، ويعاني ٧٥٠ مليوناً من سوء التغذية والجوع ، و ٨٣٠ مليوناً من سوء الرعاية الصحية ، ورُبّع الإنسانية من الأمية ، وهي ما تزال تكدر السلاح ، رغم أن عندها ما يكفي لتخزأي أثر لحياة في كرتنا الأرضية خمساً وعشرين مرة؟



يستهلك الفرد في الدول والمتحضرة ما معدله السنوي مئة كيلوغرام من اللحوم والفائض منه يحوله علقاً للحيوانات ومعلبات للكلاب والقطط . في حين يستهلك الفرد في الدول الفقيرة التي أفقرها وسرقوا وابتزوا مواردها ثلاثة كيلوغرامات من اللحوم ، وهم يعرفون أن الإنسان الذي يتشدقون بحماية حقوقه والدفاع عن إنسانيته ، هو بحاجة على الأقل لمئة غرام يومياً من اللحوم .

الإنسان هذا الخصيم المبين ، أخطر وأفتك حيوان على وجه الأرض . هو في طريقه لتدمير بيئته التي يعيش عليها ، وللتدمير الذاتي ، بعد أن لوث الجو والبر والبحر ، وقضى على آلاف الأنواع من المخلوقات الحية ظلماً وجهلاً . هل أوصله إلى هذه الحالة التعبة من الحضارة والرقى ، إلا تجاهله للقانون الإلهي الحق واتباع قوانينه ودمائيره الوضعية .

هذه الإنسانية التعيسة : القلق اليوم يلفها من أقصاها إلى أدناها بالرغم من وصولها إلى أعلى درجات التقدم الحضاري . ففي آخر الإحصائيات أن نسبة الانتحار هي الأعلى في بلدان أوروبا الشمالية وهي الأرقى عالمياً من الناحية المادية وقد قدمت لأفرادها كل أسباب الرفاهية المادية إلا السعادة ! (استهلكت فرنسا ١٢٥ مليون علبة متوم ومهدىء أعصاب في سنة ١٩٨٢ ، كما يحصل فيها سنوياً خمسة عشر ألف محاولة انتحار عند المراهقين) .

في الولايات المتحدة كل وصفة طبية من أربعة هي وصفة مهدىء أعصاب ، ومن كل مائة مريض يدخل عيادة الطب العام ، ٧٠ في المائة هم مرضى نفسيون عصابيون بصورة ظاهرة أو خفية ! هذه الإنسانية القلقة المريضة التعيسة المتحللة أخلاقياً ما أوصلها إلى هذه الدرجة ؟ ما هو الحل والمخرج ؟

برأينا أنه ما وصل الإنسان فرداً ومجتمعات إلى هذه الحالة إلا لأنه ترك القوانين السماوية الحقّة وهي تعاليم الإسلام وأبغ قوانينه الوضعية التي أثبت الواقع والاحصائيات خللها : **ليظفروا ما شاوروا وليحفظوا قوانينهم** الوضعية ما شاوروا فهم لم يستعدوا حتى الآن ولن يستعدوا مستقبلاً ما دامت قوانينهم الوضعية بعيدة أو متعارضة مع قوانين السماء الحقّة وهي تعاليم الإسلام . نذكر هنا بقول مصلحين اجتماعيين وفلاسفة . يقول برنارد شو : «لا تستقر هذه المدنية إلا إذا رجعت إلى تعاليم محمد» ، ويقول ميخائيل نعيمة : «القرآن الكريم رسم للناس جميعاً سبيلاً يصلون فيه إلى هدف عظيم ألا يكونوا في مهب الريح» . وأخيراً يقول الفيلسوف والمصلح الاجتماعي روجيه غارودي ، وهو الذي درس مختلف العقائد الوضعية واستقر به المسار بعد خبرة طويلة مع قوانين الإنسان الوضعية إلى اعتناق الإسلام ، بأنه لا يُصلح حال هذه الإنسانية إلا بالالتزام بتعاليم الإسلام .

ما أحوالنا اليوم أفراداً ومجتمعات إلى الرجوع إلى هذا الكتاب

العظيم : القرآن الكريم كتاب الوقاية والصيانة والشفاء للنفوس تدبر صفاته وميزاته وخصائصه وأوامره ونواهيه وتلتزم ونعمل بها : ﴿ . . . قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ بِضَوَائِهِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وما أخرجنا إلى الالتزام بحديث الرسول الحبيب المصطفى وقد أنبأنا سلفاً بالفتنة العذاب التي ستحل بنا وبين لنا سبل الخروج منها : عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب سلام الله عليه ورضي الله عنه وأرضاه قال : ألا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ألا إنها ستكون فتنة» . فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : «كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين والنور المبين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد ، من علم به علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» .

## خاتمة

---

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ اللهم يا من تعلم بخوايا النفوس وانت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي من غيري، ما كان هذا الكتاب إلا بتيسير منك، فإن كنت قد أخطأت أو قصرت في تفهيم وتدبير الآيات الكريمة، فأرجو المغفرة، وسبحان من تناهت عن الإحاطة بمعاني وتأويل كلماته العقول، استغفر الله ﴿وَأَخِيرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

انتهى في ٢ شوال ١٤٠٧ هـ

٣٠ حزيران ١٩٨٧ م

## الفهرس

الإهداء .....	٥
توطئة .....	٧
مدخل : من إيمان الفطرة إلى يقين البرهان .....	١٣
١ - إيمان الفطرة .....	١٦
٢ - إيمان البرهان .....	١٨
٣ - نحن بحاجة .....	٢٥
الفصل الأول : النفس .....	٣٣
١ - النفس في التعريف القرآني .....	٣٥
٢ - علاقة النفس بالجسم والعقل والروح .....	٤٠
٣ - تعريف النفس في علم النفس الوضعي .....	٤٤
٤ - وقفة علمية مع آية كريمة في النفس .....	٤٥
٥ - المستغر والمستودع .....	٥١
الفصل الثاني : القلق والخوف الطبيعي والمرضي .....	٥٩
١ - تمهيد .....	٦١
٢ - ظاهرة الخوف والقلق النفسي .....	٦٣

الفصل الثالث : الموت وعقده ..... ٧١

١ - تعريف بالعقد النفسية ..... ٧٣

٢ - عقدة الموت ..... ٧٦

٣ - العقد المتفرعة من عقدة الموت ..... ٧٧

الفصل الرابع : العقد النفسية ..... ٨٧

١ - عقباتها، شهواتها، الطاغوت، الأرباب ..... ٨٩

٢ - عقد الحرمان والحرص والنقص والتعالي ..... ٩٤

٣ - العقد الجنسية ..... ٩٩

الفصل الخامس : العقد النفسية والعقلية ..... ١٠٧

١ - أمراض الشخصية ..... ١١٠

٢ - الأمراض النفسية العصبية ..... ١١٧

٣ - الأمراض العقلية الذهانية ..... ١١٩

٤ - أمراض المس الروحي ..... ١١٩

الفصل السادس : مفهوم المصيبة على ضوء الهدى القرآني ..... ١٢٣

١ - المصيبة كلاء ..... ١٢٦

٢ - المصيبة كففران ..... ١٢٧

٣ - المصيبة كجزاء ..... ١٢٨

٤ - المصيبة ككواء ..... ١٢٩

٥ - المصيبة كنتيجة لأوامر النفس ..... ١٢٩

٦ - المصيبة كنتيجة لجهل الإنسان ..... ١٣٠

٧ - المصيبة قد تأتي من الغير ..... ١٣٠

٨ - المصيبة قد تكون لخير الإنسان ..... ١٣١

## الفصل السابع: المرتكزات والأسس للمعالجة النفسية ..... ١٣٣

- ١ - إنها تجربتي الشخصية ..... ١٣٣
- ٢ - إنها تجربتي المهنية مع الإيمان ..... ١٣٥
- ٣ - مرتكزات طريقة الإيمان العلاجي ..... ١٣٧
- ٤ - كيف نبداً ..... ١٣٧
- ٥ - استطبائاتها ..... ١٣٨

## الفصل الثامن: النوم في المنظار العلمي والمفهوم القرآني ..... ١٤١

- ١ - إذ يغشاكم النعاس أمنة منه ..... ١٤٣
- ٢ - مراحل النوم كما كشفها العلم ..... ١٤٤
- ٣ - الموتة الكبرى والموتة الصغرى ..... ١٤٥
- ٤ - الروح مفتاح الشعور والإحساس بالألم ..... ١٤٨
- ٥ - وقفة موجزة مع الأحلام ..... ١٤٩



## الفصل التاسع: الموت في المنظار العلمي والمفهوم القرآني ..... ١٥٥

- ١ - الموت في المفهوم القرآني ..... ١٥٨
- ٢ - المفهوم القرآني للموت من الوجهة النفسية ..... ١٦٤
- ٣ - معاني الموت البيولوجية في القرآن الكريم ..... ١٦٤
- ٤ - الموت الطبي، موت الدماغ ..... ١٦٦
- ٥ - ما رأي الاسلام في الموت الطبي ..... ١٦٨
- ٦ - علامة العين التي تدور ..... ١٧٠

## الفصل العاشر: الإحباط النفسي في المنظار العلمي والمفهوم القرآني ..... ١٧٣

- ١ - الإحباط النفسي: منشؤه ومسياته ..... ١٧٥
- ٢ - بعض الإحصاءات ..... ١٧٦
- ٣ - أعراض الإحباط النفسي ..... ١٧٩

١٨١	٤ - أشكال الانهيار النفسي .....
١٨٣	٥ - علاج الإحباط النفسي .....
١٨٥	الفصل الحادي عشر: إنه كان ظلوماً جهولاً .....
١٩٦	الخاتمة .....

